الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

الموضوع :

مفهوم الإنسان في فلسفة مالك بن نبي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تخصص فلسفة الحضارة

من إعداد الطالبين:

- ✓ عصمان عيسى
- ✓ حبيش إبراهيم

تحت إشراف الأستاذ:

قفاف عبد الرحمان

2017/2016

بسم الله الرحمن الرحیم

شكر و عرفان

• نشكر الله ونحمده حمدًا كثيرا طيبا مباركا على النعمة الطيبة

ويشرفنا أن نتقدم بالشكر الجزيل والثناء الخالص والتقدير إلى

من مد لنا يد المساعدة وساهم معنا في تذليل

الصعوبات

وإلى

كل من ساعدنا في إنجاز هذه المذكرة،

إهـــــداء

الحمد لله الذي أعاننا بالعلم وزيننا بالحلم وأكرمنا بالتقوى

أهدي عملي المتواضع الى:

أحق الناس بحسن صحبتنا، إلى من تعلمت حب الله وحب الأشياء الجميلة وحب الصدق في القول والثبات على المبدأ والدي الكريمين أطال الله في عمرهما.

إلى من أكن لهم صدق الحب والحنان، من يعطونني ابتسامة الحياة

سميرة

واصدقائي في النضال والى كل قيادات التجمع الوطني الديمقراطي

وكل اسرة التنسيقية الولائية لعقود ما قبل التشغيل-سافاب- والى من ساعدني على انجاز هذا العمل والى كل أساتذة قسم الفلسفة

عثمان عيس

إهـــــداء

الحمد لله الذي أعاننا بالعلم وزيننا بالحلم وأكرمنا بالتقوى

أهدي عملي المتواضع الى:

أحق الناس بحسن صحبتنا، إلى من تعلمت حب الله وحب الأشياء الجميلة وحب الصدق في القول والثبات على المبدأ والدي الكريمين أطال الله في عمرهما.

إلى من أكن لهم صدق الحب والحنان، من يعطونني ابتسامة الحياة إخوتي

حبيش

ابراهيم

ملخص الدراسة:

لا يصعب على دارس نصوص ابن نبي استخلاص المكانة المركزية التي يتبوؤها الإنسان في مشروع البناء الحضاري، إذ لا يتأسس صرح الحضارة بدون بناء الإنسان، لذلك فـ"السعي لتشييد الإنسان تربويا وثقافيا، وبث "الفاعلية الحضارية" في كيانه يمثل اللبنة الأولى والرئيسة التي ينبني عليها المشروع الحضاري كله عند مالك بني؛ فبناء الإنسان في نظره أسبق من كل تشييد مادي في المشوار الحضاري" وهذا يتطلب في نظره دراسة أهم القوانين والسنن التي تتحكم في حركة الإنسان وفعاليته في التاريخ تأسيسا للحضارات، وبناء لها أو انحطاطا بها وفي هذا المجال نجده يدعو إلى استيعاب أكثر ما يمكن من نتائج العلوم الإنسانية والتطبيقية قصد توظيفها لصياغة القوانين والمعادلات التي يعتقد أنها توجه الحضارات وتتحكم في دورتها الخالدة من الميلاد إلى الأفول."

وعند تحليله لعناصر الحضارة، يرى مالك أن "كل ناتج حضاري تنطبق عليه الصيغة التحليلية الآتية: ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت.

هذه الصيغة صادقة بالنسبة لأي ناتج حضاري، وإذا ما درسنا هذه المنتجات حسب طريقة الجمع المستخدمة في الحساب، فستنتهي حتما إلى ثلاثة أعمدة ذات علاقة وظيفية: حضارة = إنسان + تراب + وقت .

وتكمن أهمية الإنسان كعنصر مركزي في المعادلة السالفة في كون العناصر الحضارية الأخرى صامتة لا تنطق إلا بلسان الإنسان، وهو من يعطيها دلالة وقيمة، وكل بناء سليم للإنسان تربويا وثقافيا يعني بالضرورة إكساب الزمن والتراب الشرطية والقيمة الحضارية، ويجب أن نلاحظ أن الحضارة الإسلامية انتهت منذ الحين الذي فقدت في أساسها قيمة الإنسان، وليس من التطرف في شيء القول بصفة عامة أن الحضارة تنتهي عندما تفقد في شعورها معنى الإنسان .

من أجل ذلك يقدم مالك الإنسان، باعتباره أساس الحضارة وأحد أبرز معالمها، فهو الذي ولدها بفكره وصنعها بيده، لذلك فالاهتمام بمشكلة الإنسان ومحاولة إيجاد الحلول لها يستدعي توجيه العناصر الثلاثة: الثقافة، والعمل، ورأس المال، ولما كانت الثقافة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحضارة في رأي الأستاذ مالك بن نبي، فإن الاهتمام بها في فكره كان حاضرا بقوة.

إن الإنسان باعتباره العنصر الفاعل الذي تبدأ منه عملية التغيير لا يتوقف دوره في المجتمع على حفظ النوع، بل هو خليفة الله في أرضه، وهذه الوظيفة الاستخلافية توجب إجراء عملية تغيير نفسي واجتماعي يخضع لها الإنسان من خلال الثقافة المستمدة من العقيدة الدينية ليكون الأقدر على القيام بدوره الفاعل في بناء مجتمعه .

المقدمة

إن الإنسان باعتباره العنصر الفاعل الذي تبدأ منه عملية التغيير لا يتوقف دوره في المجتمع على حفظ النوع، بل هو خليفة الله في أرضه، وهذه الوظيفة الاستخلافية توجب إجراء عملية تغيير نفسي واجتماعي يخضع لها الإنسان من خلال الثقافة المستمدة من العقيدة الدينية ليكون الأقدر على القيام بدوره الفاعل في بناء مجتمعه .

الثقافة كما يقول ابن نبي بما تتضمنه من فكرة دينية نظمت الملحة الإنسانية في جميع أدوارها ولا يسوغ أن تعد علما يتعلمه الإنسان، بل هي محيط يحيط به، وإطار يتحرك داخله، يغذي الحضارة في أحشائه؛ فهي الوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر، وتتشكل فيه كل جزئية من جزئياته، تبعا للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه، بما في ذلك الحداد والفنان والراعي والعالم والإمام وهكذا يتركب التاريخ.

و لذلك يرى مالك أن الحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء، يكون للناس شرعة ومنهاجا، أو هي –على الأقل– تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام، فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية أو بعيدا عن حقبته، إذ حينما يكتشف حقيقة حياته الكاملة، يكتشف معها أسمى معاني الأشياء التي تهيمن عليها عبقريته وتتفاعل معها.

فرسالة الإنسان في الحياة الاجتماعية أن يكون عاملا نفسيا زمنيا، فهو لا يؤثر طبقا لوجوده الزمني فحسب، أعني تبعاً لحاجاته المادية، بل يؤثر طبقا لوجوده النفسي، أعني طبقا لحاجاته الروحية، وتلك هي حقيقة الإنسان كاملة، وهي ما ينبغي أن ندركه لنتناوله كلاً غير متجزئ. فما كان لنا أن نحدد شروط تغييره لو غاب عن أعيننا أحد هذين الجانبين، الروحي أو الزمني، فهو من الجانب الأول: إنسان متدين، فالعنصر الديني يتدخل هنا مباشرة في الطريقة التي يتبعها لاستبطان ذاته، باعتباره أساساً لضمير يبحث عن نفسه. هذا الضمير الديني قد ارتبط بالوعي الاجتماعي، ربطهما الإنسان ذاته، ربطاً لا يمكن معه أن ينفصل أحدهما عن الآخر. وإذن: فالإصلاح الديني ضَرُورِيّ باعتباره نقطة في كل تغيير اجتماعي.

لا تنفصل كينونة الإنسان الفرد عن الفكرة الدينية، كما لا يتحقق التماسك والتضامن الاجتماعي بغير منظومة أخلاقية مرجعية، ولهذا تجاوز اهتمام ابن نبي بالأخلاق كمشكلة فلسفية، بل سعى لمقاربتها من الناحية الاجتماعية؛ أي باعتبارها "قوة التماسك اللازمة للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية مرتبطة في أصلها بغريزة "الحياة في جماعة" عند الفرد، هذه الغريزة التي لابد أن يهذبها و يوظفها بروح خلقية سامية ممنوحة من السماء إلى الأرض، مهمتها ربط الأفراد بعضهم ببعض استنادا إلى قوله تعالى:" (62) **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** (63) "

ولذلك يقر الأستاذ مالك بأن المجتمع الإنساني لا يتقوم إلا بما يحمله من منظومة أخلاقية، في جميع القوانين التي أملتها السماء، أو وضعتها محاولات البشر، في حقيقة الأمر إجراءات دفاعية لحماية شبكة العلاقات الاجتماعية، وبدونها لا تستطيع الحياة الإنسانية أن تستمر، لا أخلاقيا، ولا مادياً. و كلما حدث إخلال بالقانون الخلقي في مجتمع معين، حدث تمزق في شبكة العلاقات التي تتيح له أن يصنع تاريخه .

و إلى جانب المبدأ الأخلاقي الذي اعتبره مالك أساس المجتمع الإنساني، يشير مالك إلى مبدأ آخر لا تقوم إنسانية المجتمع بغيابه، وهو المبدأ الجمالي، ولكي يوضح الأستاذ أهمية هذا المبدأ فإنه يبين أثره من الناحية النفسية والاجتماعية في حياة الأفراد، فعندما يشاهد المرء صورة جميلة فإنها سوف تثير فيه أشياء جميلة، والعكس صحيح، والقانون نفسه ينطبق على المجتمع فكلما كان هناك اهتمام بالطابع الجمالي في أشيائه بما يتفق والذوق العام، فإن هذا يؤثر في نفسية الفرد، فبالذوق الجميل الذي يتطبع به فكر الفرد يجد الإنسان في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل، متوخيا الكريم من العادات، وبذلك يكون للجمال أهمية اجتماعية كبرى إذا ما عد المنبع الذي تنبع منه الأفكار، وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال المجتمع.

الإشكالية :

يتمثل التساؤل الرئيسي للدراسة حول: فيما يتمثل مفهوم الانسان في فلسفة مالك بن نبي ؟

و يتفرع عن هذا السؤال الرئيسي التساؤلات الثانوية التالية:

ما هي الظروف الشخصية التي عاشها مالك بن نبي و أثرت في فكره ؟

الانسان في فلسفة مالك بن نبي ؟

اشكالية الانسان و الحضارة؟

01- أهمية الدراسة:

رغم تنبيه الكثير من الباحثين على أهمية الدراسة و أراء مالك بن نبي فان الدراسات التي أجريت في هدا الموضوع قليلة جدا بالنظر إلي ضخامة إنتاج مالك بن نبي و ما كتبه في مجال الحضارة و الثقافة و النهضة. و استنادا إلي ما تقدم يمكن القول بان مالك بن نبي يمثل مكانة مرموقة إن لم تكن الريادة بين المفكرين الدين اثأروا الفكر الإسلامي بالعديد من الآراء و الأفكار الجيدة التي ساهمت في ربط التجديد أو التغير بالثقافة و الثقافة بالإنسان و الإنسان بالحضارة و كرس لتغير الإنسان المسلم الذي ينهض بأعباء الحضارة .

و قد أملت هذه الحقائق اعتبارات معينة شدت اهتمام الباحث إلى دراسة الفكر الإنساني عند مالك بن نبي يكمن ذكرها في ما يلي:

أولا: إن مالك بن نبي احتل مكانة هامة في أبحاث الدارسين التي وضحت عن جوانب عديدة من فكره.

ثانيا: فكره لنظرة الإنسان لم يدرس تلك الدراسة المتكاملة التي توضح أبعاده الكاملة في إطار شامل كامل.

ثالثا: إن مالك بن نبي يعتبر علما بارزا من أعلام الحضارة الإنسانية أدى دورا مهما وواضحا في الفكر الإسلامي في عصره و لا يقل أهمية عن أي مفكر من مفكري الحضارة المعاصرين .

رابعا: إن فكر مالك بن نبي يحتوي على جوانب أصيلة تعكس الروح الإسلامية العربية الذي نحن بأمس الحاجة إليه في مختلف جوانب حياتنا و مما يعكس دلك الاهتمام التناول الواضح و الجلي لقضايا الثقافة و الحضارة و دور الإنسان ما قبل الموحدين في نشر العلم و تنمية المعرفية و بناء الإنسان و صيانة المجتمع .

خامسا: إن كثيرا من مشكلاتنا المعاصرة يمكن إن نجد لها وجهات نظر عربية إسلامية أصيلة مثل البناء التربوي للإنسان. أسس فلسفة الحضارة .نظرية الثقافة .استراتيجية التغير الاجتماعي و كيفية إعداد الإنسان المسلم . العلاقة بين الإسلام و الديمقراطية .إبعاد التكتل الافرو- أسوي و الكومنولث الإسلامي و نظرية التغير الاجتماعي .

و يتضح مما سبق أهمية دراسة و إعطاء مكانة للإنسان من طرف مالك بن نبي و ما قدمه من أفكار و أراء و اجتهادات تمثل روح عصره و مشاكله باعتبارها مثل بارزا للإنسان الإسلامي في تفاعله مع واقعه و معالجة مشاكل عصره الحضارية .

02-أهداف الموضوع:

تتمثل أهداف دراسة الإنسان عند مالك بن نبي فيما يلي:

أولا: الهدف الرئيسي لهذا البحث و هو إبراز مكانة المفكر مالك بن نبي في الفكر الإسلامي و العربي عامة و نظرته للإنسان خاصة.

ثانيا: العمل على إبراز الخطوط العريضة التي تضمنتها أفكار مالك بن نبي للإنسان و علاقته بالتنمية و النهضة دلك إن أي امة لا تستطيع إن ترسم طريق المستقبل و تبينه إلا بالرجوع إلي إسهامات علمائها و مفكريها فتستضيء بأفكارهم و تسترشد بآرائهم .

ثالثا: تهدف الدراسة للكشف على أبعاد الإنسان عند مالك بن نبي و عن بعده التكويني لنظرية الدورة الحضارية.

رابعا: الوقوف على الظروف الشخصية التي مرا بها ملك بن نبي و أثرت في فكره و نظرته للإنسان

02- مصطلحات البحث الأساسية:

1-**مفهوم الإنسان:** يعرّف الإنسان علميّاً على أنه الكائن الحي الوحيد الباقي من الإنسان العاقل (الهومو أو الأناسي)، وهو العاقل الوحيد المالك لدماغٍ عالي التطوّر، لديه القدرة على التفكير المجرد والنطق واستخدام اللغة والتفكير الذاتي الداخلي، وإيجاد حلولٍ للصعاب التي تعترضه، على خلاف باقي الحيوانات على سطح الكرةالأرضيّة.

02- **الفكر** : هو مجمل الأشكال والعمليات الذهنية التي يؤديها عقل (ذهن) الانسان والتي تمكنه من نموذجة (خلق نموذج) العالم الذي يعيش فيه , وبالتالي تمكنه من التعامل معه بفاعلية أكبر لتحقيق أهدافه وخططه ورغباته وغاياته وبتعبير آخر هو عبارة عن سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق واحدة أو أكثر من الحواس الخمس , وهو مفهوم مجرد ينطوي على نشاطات غير مرئية وغير ملموسة وقد عرفه ابن منظور في لسان العرب بقوله :" اعمال الخاطر في شيء."

أما جميل صليبيا فقال انه:" يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات أو يطلق على المعقولات نفسها ,فاذا اطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية وهي النظر والتأمل واذا اطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس ." وجاء تعريفه في المعجم الوسيط :" الفكر اعمال العقل في المعلوم للوصول الى معرفة المجهول."

03–التفكير: إن التفكير في معناه العام هو (البحث عن المعنى سواء أكان هذا المعنى موجودًا بالفعل ونحاول العثور عليه والكشف عنه أو استخلاص المعنى من أمور لا يبدو فيها المعنى ظاهرًا ونحن الذين نستخلصه أو نعيد تشكيله من متفرقات موجوده).

04- **الإصلاح**: لإصلاح لغة: من فعل أصلح يصلح إصلاحًا ، أي إزالة الفساد بين القوم، والتوفيق بينهم . وهو نقيض الفساد ، فالإصلاح هو التغير الى استقامة الحال على ما تدعو إليه الحكمة ، ومن هذا التعريف يتبين أن كلمة إصلاح تطلق على ما هو مادي ، وعلى ما هو معنوي ، فالمقصود بالإصلاح من الناحية اللغوية ، الانتقال أو التغير من حال إلى حال أحسن ، أو التحول عن شيئ والانصراف عنه الى سواه . وقد ورد لفظ الاصلاح في القرآن الكريم في أكثر من سورة مثل قوله تعالى: ((والله يعلم المصلح من المفسد)) ، وقوله مخاطباً فرعون : ((إنْ تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض، وما تريد أن تكون من المصلحين)).

أما اصطلاحا: فيعرفه قاموس "أكسفورد" الإصلاح بأنه" تغير أو تبديل نحو الأفضل في حالة الأشياء ذات النقائص ، وخاصة في المؤسسات و الممارسات السياسية الفاسدة أو الجائرة ، إزالة بعض التعسف أو الخطأ". الإصلاح يوازي فكرة التقدم ، وينطوي جوهريًا على فكرة التغيير نحو الأفضل، وخاصة التغير الأكثر ملائمة من أجل تحقيق الأهداف الموضوعية من قبل أصحاب القرار في حقل معين من حقول (النشاط الإنساني)

05–التغير : هو نشاط يتضمن إحداث تحولات في أحد أو بعض أو كافة العناصر التي تتكون منها المنظمة لمواجهة القوى المؤثرة فيها، فالتغيير قد يأتي استجابة لمتطلبات جديدة للعملاء أو نتيجة لدخول أو خروج منافسين من السوق أو نتيجة لتطبيق فلسفة إدارية جديدة كإدارة الجودة الشاملة أو لغير ذلك من الأسباب.

06– الحضارة : هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وتتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخُلقية، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث

ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أَمِنَ الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها.

06- الفقه الحضاري للإنسان : إن [الفقه الحضاري]: مصطلح جديد على الساحة، ولا بد لأي علم جديد أن يكون له تعريف حتَّى يستطاع فهمه فهما صحيحا، لذا فإنَّا هنا نعرف هذا المصطلح الجديد، لكي نستطيع فهم المراد منه، وحتَّى نصل إلى التعريف اللقبي الدقيق لا بد من تعريفه أولا التعريف الإضافي بتعريف مفرداته.

08- تعريف الثقافة: هي الرقى في الأفكار النظرية والعقلية فقط وهذا يشمل الرقى في القانون والسياسة والتاريخ وكذلك الأخلاق والسلوكيات وسائر الأمور النظرية والفكرية -المعنوية. **وقد عرفها** " كباتريك Kilpatrick " بأنها كل ما صنعه عقل الإنسان من أشياء ومظاهر اجتماعية فى بيئته الاجتماعية أي كل ما قام باختراعه وباكتشافه الإنسان وكان له دور في مجتمعه.

09- الفكر الإسلامي : توافر كثير من العلماء والباحثين لتحديد تعريف أو أكثر للفكر الإسلامي، ومن أبرز هذه التعريفات: كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث الرسول-صلى الله عليه وسلم- إلى اليوم في المعارف الكونية المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والإنسان الذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكًا، أو كل ما ألفه علماء المسلمين في شتى العلوم الشرعية وغير الشرعية بغض النظر عن الحكم على مدى ارتباط هذا النتاج الفكري بأصل العقيدة الإسلامية، أو نتاج الفكر الذي تصدى للفلسفات والنظريات الغربية ناقدًا لها وواضعًا البديل الإسلامي محلها، أو كل نتاج للعقل البشري الموافق لمنهج الإسلام، أو كل ما هو غير تجريبي من مقومات الحضارة الإسلامية سواء كان تشريعًا أو علم كلام أو ما شابه ذلك وبعبارة أخرى: الجانب الفكري التصوري البحت الذي يقوم من كل حضارة مقام الخارطة الهندسية المصممة للبناء ...، أو هو فقه الوحي وفهم رجال هذا الفكر له ثمّ شروحهم عليه، أو الحكم على الواقع من وجهة نظر الإسلام، أو المنهج الذي يفكر به المسلمون أو الذي ينبغي أن يفكروا.

04-المنهج و أدوات و البحث :

استخدمنا المنهج الاستنباطي (**الاستدلالي**) و ذلك لمناسبته لطبيعة الدراسة التحليلية.

05- أسباب اختيار الموضوع:

- أسباب ذاتية:

- الإعجاب بالمفكر الموسوعي مالك بن نبي الذي تناول في كتبه حلولا لقضايا المجتمع الشيء الذي إلي القراءة و البحث.

- الحوار مع الزملاء في المواضيع الفكرية الخاصة بمالك بن نبي.

- أسباب موضوعية:

قلة المراجع التي تناولت الإنسان عموما في دراسات مالك بن نبي و طغيان المواضيع ذات الصلة بالحضارة و الثقافة و البناء الحضاري.

إبراز شخصية لم تحض بالقدر الكافي من الدراسات الأكاديمية و لم تسترعي اهتمام الباحثين الجزائريين و طلبة الجامعات على الخصوص بموضوع الإنسان.

مشروع مالك بن نبي هو مشروع شخصي ينطلق من الإنسان إلي الثقافة إلي التربية إلي الحضارة.

الحاجة الملحة في هدا الظرف العسير إلي مفكري الأمة لتأسيس وحدة في الطرح المنهج و الهدف للخروج إلي بر الأمان مما نعانيه .

06-الدراسات السابقة:

- الإنسان و الوعي في فلسفة هوبرت ماركوز مذكرة تخرج ماجستير في علم الاجتماع من إعداد جمال براهمة سنة 2010-2011 جامعة منتوري قسنطينة .

- الإنسان المهدور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية الدكتور مصطفي حجازي

– مقالة بعنوان الإنسان في مواجهة تفاهة الشر– حنا أرندت– بقلم إبراهيم مجدلية .قسم الفلسفة و العلوم الإنسانية .31 ديسمبر 2016.نشر هذا المقال في مجلة يتفكرون عدد 9

– عمر نقيب ؛مقومات بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي ؛نحو نظرية تربية جديدة في العالم الاسلامي ؛الشركة الجزائرية اللبنانية ؛ط1؛الجزائر؛2009.

– بوعلام ولهي،" مشكلة الإنسان والتوجيه الثقافي عند المفكر الجزائري مالك بن نبي".

– مفهوم الإنسان بين التصور الغربي و الإسلام (مقال) شيماء نعمان – مركز التأصيل للدراسات و البحوث.

– مفهوم الانسان بين التداول الفلسفي و التداول القراني (مقال) عبد الله ادلكوس– حوار بوست . نشر 10 سبتمبر 2010.

07–صعوبات الموضوع:

إن الصعوبات الدراسة تكن في طبيعة الموضوع الذي تناولناه في بحثنا هدا و المتمثل في مفهوم الإنسان في فلسفة مالك بن نبي الآن الإنسان هو المحور الرئيس في كل عملية حضارية و لدلك تطرقنا إلي الكثير من المواضيع التي تتعلق بالحضارة و النهضة و الإصلاح و حي من الجانب السياسي و الاجتماعي و أيضا دور هذا الإنسان في بناء الحضارة ومادامت المشكلة في هذا المستوى الحضاري، فلابد للفكر التغيري أن يكون في نفس المستوى من العمق، وليس من بديل لانبعاث الثقافة الإسلامية من جديد من الانخراط في هذا التحدي الحضاري والإنساني إذ لا يتأسس صرح الحضارة بدون بناء الإنسان، لذلك ف"السعي لتشييد الإنسان تربويا وثقافيا، وبث "الفاعلية الحضارية" في كيانه يمثل اللبنة الأولى والرئيسة التي ينبني عليها المشروع الحضاري كله عند مالك بني؛ فبناء الإنسان في نظره أسبق من كل تشييد مادي في المشوار الحضاري" وهذا يتطلب في نظره دراسة أهم القوانين والسنن التي تتحكم في حركة الإنسان وفعاليته في التاريخ تأسيسا للحضارات.من أجل ذلك يقدم مالك الإنسان، باعتباره أساس الحضارة وأحد أبرز معالمها، فهو الذي ولدها بفكره وصنعها بيده، لذلك فالاهتمام بمشكلة الإنسان ومحاولة إيجاد الحلول لها يستدعي توجيه العناصر الثلاثة: الثقافة، والعمل،

ورأس المال، ولما كانت الثقافة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحضارة في رأي الأستاذ مالك بن نبي، فإن الاهتمام بها في فكره كان حاضرا بقوة.

08- خطة البحث:

للإجابة على الاشكالية المطروحة و تحقيقا للأهداف المرجوة ارتأينا ان نتبع الخطة عمل مكونة من ثلاث فصول و الحقنا بالعمل مجموعة من الملاحق التي راينا انها وظيفية في هدة الدراسة:

و تم التطرق في بداية هدة الدراسة الي:

المقدمة : تم فيها التعرف بالموضوع بإيجاز .

الفصل الاول : مالك بن نبي و تكوينه الفكري.

طرقنا في الفصل الاول الي نشأة مالك بن و شخصيته و الظروف المحيطة التي اسهمت في تكوين فكره عبر عوامل اجتماعية و هرجنا على العوامل الثقافية و الفكرية التي ساهمت في اثراء فكر مالك بن نبي و الاخير تطرقنا الي اهم مؤلفاته التي تركها لنا كرصيد علمي و معرفي .

الفصل الثاني: الانسان في فلسفة مالك بن نبي .

اما في الفصل الثاني فقط تطرقنا الي الانسان بشكل عام عند مالك بن نبي و قسمنا هدا الفصل الي ثلاث مباحث فالمبحث الاولى تطرقنا فيه الي مفهوم الانسان من الجانب اللغوي و الاصطلاحي و في المبحث الثاني تطرقنا الي مراحل و ابعاد المعرفة العلمية لدي الانسان أما في المبحث الثالث فعرجنا على ابعاد تشكل الانسان .

الفصل الثالث :الانسان و استراتيجية التجديد الحضاري .

و جاء في الفصل الثالث الانسان و بعده الحضاري و قسمنا الفصل الي ثلاث مباحث اساسية و محورية الانسان و استراتيجية التجديد عند مالك بن نبي و راي المفكر مالك بن نبي في كيفية اعداد الانسان مسلم

يستطيع بناء حضارة أما في الاخير الانسان و مشكلة الحضارة عند مالك بن نبي ة التخلف التي يعاني منه العالم الاسلامي .

الفصل الأول

الفصل الاول : مالك بن نبي و تكوينه الفكري

تمهيد :

المبحث الاول : مالك بن نبي (1905–1930).

المبحث الثاني: العوامل الثقافية و الفكرية في تكوين مالك بن نبي

خلاصة

تمهيد:

سنحاول في هدا الفصل أن نتطرق إلي نشأة المفكر مالك بن نبي و شخصيته و الظروف المحيطة التي أسهمت في تشكيلها و تكوين فكره بتجربته مع الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و و التنشئة القاسية التي عاشها.

مرورا بالعوامل الثقافية و الفكرية التي ساهمت في تكوين فكر مالك بن نبي بالإضافة إلي مجموعة من المؤلفات التي خلفها مفكر الحضارة مالك بن نبي التي شكلت طفرة علمية و معرفية في هدا الزمن من بين أهم هده المؤلفات –الظاهرة القراء نية – شروط النهضة –مشكلة الثقافة .

المبحث الأول: مالك بن نبي (1905–1930)

1. نشأة مالك بن نبي.

هو مالك صديق بن الحاج عمر بن لخضر بن مصطفى بن نبي ولد في جانفي 1905م الموافق لـ:05 ذو القعدة 1323هـ بمدينة قسنطينة, هو رجل يميل في قامته إلى الطول/ غير بدين لم يكتمل الشيب في رأسه بعد, وإن كان الوقار سمته... رقيق الحاشية ,متوقد العينين يطل بهما من وراء نظارته الطبية ,بادي الاعتناء بهندامه إن لم نقل التأنق، وقد يكون مختلفا في هذا مع الكثيرين من أمثاله من كبار المفكرين الذين يهملون مظهرهم في الغالب إذا تحدث إنفعل هادئا مع حديثه ,وبدا كمن يلد أفكارا أو يتمخض عنها ،إلا أن جوابه حاضرا دون شرود إذ تكفيه الإطلاقة الواحدة العجلى لدى مفاجأته بسؤال ما حتى يرفع وجهه إليك ثانية ويعطيك الجواب الفاصل .يستخلص المعنى الكبير من المشهد الصغير،بل يستخلص القانون العام من المحادثة العادية....إن الجالس إليه يحس مباشرة بأنه أمام مفكر كبير شمولي النظرة واسع التجربة عالمي الثقافة يشرف على الأمور و المشكلات إشرافا، يطل عليها من شاهق ولا ينظر إليها من جانب أو من تحت...

وهكذا يتاح له أن يحلل ويركب، و أن يحيط بالكليات و الجزئيات معا، و أن يربط الأسباب بالنتائج وأن يعطيك في النهاية الحكم السديد ،والرأي الناضج العميق الذي لا تحس معه بأية سطحية أو ابتسار.[1]

ارتحلت عائلته إلى مدينة تبسه، ثم لحق بها بعد أن مكث عند أقاربه في قسنطينة ردحا من الزمن، وقد نشأ مالك بن نبي في عائلة محافظة متمسكة بدينها وتقاليدها تعيش على شظف العيش وضيقا ماليا شديدا, الشيء الذي ترك عمه يكفله في قسنطينة ،ثم اضطرت زوجة عمه أن تعيده إلى والديه في تبسة بعد وفاة عمه الأكبر الذي تبناه منذ أمد بعيد ".لقد كانت هذه الفترة من حياة عائلتي شديدة العسر، إذ مات عمي الأكبر في قسنطينة ،وكان قد تبناني منذ أمد بعيد, مما جعل زوجته تعيدني الى

[1] إبراهيم العاصي، الحقيقة و المال.أخر حوار لمالك بن نبي ط1،دار عالم.دار بيروت لبنان '2003 ص7

أهلي في تبسة على الرغم مما خلف ذلك من أسى في نفسها وفي نفسي, لقد فعلت ذلك لأن مواردها لم تعد تسمح لها بإعالتي.[1]

2. شخصية مالك بن نبي.

إن الظروف و العوامل المحيطة بشخصية مالك بن نبي أسهمت في تشكيل شخصيته وتكوين فكره ،وصقل أرائه بتجربة الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية, وتتبع جذور ومنابع أرائه ومواقفه في الإصلاح و التغيير و التربية ،ويمكن تشخيص هذه العوامل كما يلي:

إن التنشئة الاجتماعية القاسية التي مر بها المفكر مالك بن نبي كغيره من أبناء جيله في هذا الوطن الجريح الذي يرزخ تحت نير الظلم و جبروت القوة و الفقر المدقع، ففي محيطه الأسري تلقى "الصديق" أولى تعاليم التربية السليمة و تهيئة ظروف التعليم من قبل أبوين كان هما الوحيد أن يتربى إبنهما الذكر الوحيد تربية إسلامية صالحة ,فكانت جدته لأمه الحاجة زليخة " التي عمرت نصف قرن من العمر، فكان احجيات جدته المدرسة الأولى التي تكون فيها حسه الوطني، ومداركه التاريخية ،إذ كانت الحاجة زوليخة بارعة في أساليب الحكي فتنقاد إليها مسامعه لتتشرب من معينها حكايات العمل الصالح و الطالح، وما يترتب عليها من ثواب وعقاب. وفي ذلك يقول مالك بن نبي:" وكانت هذه الأقاصيص الورعة تعمل على تكويني دون أن أدري ،فمنهما عرفت أن الإحساس في مرتبة عليا من الخلق الإسلامي ،وإحدى حكاياتها عن الإحساس جعلتني أنا الابن السادسة أو السابعة من عمري أقوم بعمل ربما كان على ما أعتقد أسمى ما قمت به في حياتي ....و في ظهيرة يوم الجمعة أخذت نصيبي من الرفيس ،وأخذت أقضمه بنهم ولذة، وفجأة سمعت بباب الدار سائلا: أعطوني من مال الله" ولم أكن عندها أكلت من فطيرتي أكثر من النصف، ومع ذلك بادرت بإعطائها له عندما تذكرت واحدة من حكايات جدتي عن الإحساس وثوابه.[2]

[1] مالك بن نبي. مذكرات شاهد القرن، بإشراف ندوة مالك بن نبي ،دار الفكر ، دمشق ،ط2 ، 1984 ، ص78

[2] .مالك بن نبي ، المصدر السابق ، ص79

فجدته مثلت له التشكل التربوي الأول ،فلعبت بذلك المدرسة التي صقلت رؤيته الأولى نحو القيم الأخلاقية ،كما أن إختلافه إلى الكتاتيب و المدرسين لحفظ القرءان الكريم صاغ في تكوينه شعورا دينيا معينا ربطه بالمعتقد الإسلامي منذ نعومة أظافره ،الشيء الذي جعله يرتاد المساجد من صغره بالإضافة أن الوسط الجزائري بيئة محافظة تحرص على أداء الشعائر، وعن هذه الفترة من حياته يقول مالك بن نبي:" إن ضميري تكون في تلك المدرسة على وجه الخصوص, كما كشفت لي عملية استقصاء عن الباطن وأنا إبن الثلاثين من العمر."

أما القيم إلى استقاها من جده في بداية حياته في ظل الوجود الفرنسي في الجزائر الذين بدءوا يستولون على أراضي المواطنين الجزائريين و إعطائها للفيف الأجنبي في ذلك الوقت فهو مقته الدفين والمبكر للاحتلال والعمل على كل ما أوتي من قوة على إحباط دسائسه وكشف أحابيله ومؤامراته وفي ذلك يقول:" كنت في السادسة أو السابعة من عمري، وكان وضع عائلتي قد ساء ماديا ،فجدي لأبي باع كل ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة ،وهجر الجزائر المستعمرة ليلجأ إلى طرابلس الغرب، فقد هاجر مع الموجة الأولى من الهجرة التي اجتاحت حوالي 1908 مدنا كثيرة كقسنطينة وتلمسان، تعبيرا عن رفض الأهالي معايشة المستعمر. الذي يعد البذرة الأولى لكثير من الأحداث السياسية التي جرت فيما بعد."[1]

ضف إلى ذلك تأثير ما كان يسمعه مالك بن نبي الذي شكل وجدانه بإحساس مرير....

فكانت جدته تحدثه عن أمها وكيف غادرت مدينتها يوم أن دخلها المستعمر، وكيف أضطر أهلها إلى الهجرة الى تونس وما صاحبها ذلك من ترويع. بالإضافة إلى حرص والده على تكوينه تكوينا دينيا إسلاميا ،فأمه اضطرت ذات يوم وقد فقد الأب عمله أن تدفع سريرها الخاص لمعلم القرأن الكريم الذي تولى تدريس أبنها بدل المال....وعندما حصل أبوه على وظيفة في تبسة، وبدأت الأوضاع المادية للعائلة تتحسن ،ثابر مالك بن نبي على تردده على مدرسته القديمة لتعلم القران. وحين نجح في

[1] المرجع السابق ص11.19

مسابقة الحصول على منحة قصد الاستعداد للدخول على معهد المعلمين ،كان التوجيه الذي أراده أبوه هو أن يصبح عدلا في الشرع الإسلامي.

أما المحيط الإجتماعي الذي عمل على تشكيل نفسية مالك بن نبي في كل من قسنطينة وتبسة، والذي جعله يحرص على التمسك بالأصالة و المعاصرة في أن واحد، ويؤكد هذا التأثير بقوله:" ففي تبسة كنت أرى الأمور من زاوية الطبيعة، أما في قسنطينة فقد أخذت أرى الأشياء من زاوية المجتمع و الحضارة واضعا في هذه الكلمات محتوى عربيا و أوروبيا في أن واحد.

ما إن شب عوده في نهاية العشرينات من القرن الماضي حتى بدأ ينفتح على العالم الخارجي بفضل حسه السياسي المتقد، فكانت الأزمة العالمية التي إجتاحت العالم أنذاك، فشكلت تلك المرحلة بكل تداعياتها وعيه المبكر المختزن في صور التغيير الإجتماعي ،الذي بدأت تظهر أثاره بعد الحرب العالمية، حيث البنى الكلاسيكية تتفكك وتحل أخرى جديدة محلها ،فتزول الصناعات التقليدية وتظهر مدن بفعل الهجرة و الحراك الإجتماعي وتركيزا لصناعة في المدن وإنهيار الأنظمة الزراعية القديمة، وتفشي الفقر ويتخلل ذلك من إنعكاسات على البنية الإجتماعية، كان مالك بن نبي يتلمسها وهو يقارن بين شوارع وبيوت سكان الأوروبيين في قسنطينة، وبين دور بعض أقربائه البائسة و أوضاعهم الرثة. كل ذلك كان يبعث في نفسه اللم و الأسى ، ويثير في ذهنه التساؤلات الحائرة التي بدأ يتحسس بعض أجوبتها ، تحت ردود الأفعال الإجتماعية ، وبمتابعة لرواد التغيير ،التجديديين و التقليديين، حيث أخذ وعييه يتبلور تحت تكوين هذين الإتجاهين. [1]

3. مؤلفاته.

لقد أثرى مالك بن نبي المكتبة العربية و العالمية بالعديد من المؤلفات التي شكلت في زمنه، ومازالت لحد الآن. طفرة علمية ومعرفية وفكرية في هذا الزمن ، لما قدمته من رؤى جديدة للتربية و التنمية الثقافية و الحضارة بصورة عامة، ولما قدمته من مناهج حديثة في معالجة قضايا العالم الثالث ، وقد صدرت أغلب كتبه باللغة الفرنسية، ثم ترجمت باللغة العربية ، وله أكثر من عشرون كتابا مطبوعا ن

[1] عويمر ،مولود ،مالك بن نبي رجل الحضارة ،الطبعة الاولى ،(تيزي وزو ،الجزائر دار الامل للطباعه والنشر والتوزيع 2007 ص 30)

وأغلبها في مصر و سوريا و الجزائر. وله إحدى عشر مؤلفا مازال مخطوطا لم يطبع بعد، وأهم هذه المؤلفات هي :

4-1- **الظاهرة القرءانية:** (الجزائر 1946) وقد كتبه باللغة الفرنسية ، وقام بترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين ونشرته دار القرأن الكريم ، تحت رعاية فاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية السلمية ، الكويت عام 1398هـ1978م ، وهو من القطع الصغير ، وعدد صفحاته 363 صفحة

4-2- **لبيك** (الجزائر 1947) وهي قصة أدبية ألفها مالك في بداية حياته الفكرية و الأدبية. وترجمت الى العربية سنة 2009، من قبل د.زيدان خويلف، في دار الفكر ،سوريا ،156 صفحة من الحجم المتوسط.

4-3-**شروط النهضة:**(الجزائر 1948) نشر بدار الفكر عام 1960م ، وقام بترجمته كامل مسقاوي.

4-4- **الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونج** :(القاهرة 1956)، عن دار الفكر ويتضمن 266 صفحة.[1]

4-5-**النجدة الشعب الجزائري يباد:** (القاهرة 1957)وهو كتاب صدر باللغة الفرنسية ، وجه من خلاله مؤلفه نداء الضمير الإنساني (العالمي) من أجل إتخاذ موقف إنساني حضاري حازم بشأن عمليات الإبادة التي كان قد تعرض لها المجتمع الجزائري من طرف الإستعمار الفرنسي.

4-6- **مشكلة الثقافة** :(القاهرة) ترجمه عبد الصبور شاهين،عام 1984م وبتضمن 152 صفحة .

4-7- **فكرة كمنويلث إسلامي**:(دمشق 1960) نشر دار الفكر ، وعدد صفحته، 127 وهو أول كتاب لمالك بالعربية مباشرة.

[1] بريون ، فوزية ، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة ، دار الفكر ، ط1، دمشق ، سوريا ، 2010، ص30

4-9- **حديث في البناء الجديد بيروت** 1960) يحتوي هذا الكتاب على خمسة محاضرات مترجمة من الفرنسية الى العربية، ألقاها "بن نبي" في مناسبات مختلفة أثناء زيارته لكل من لبنان وسوريا .وتشكل هذه المحاضرات في مجموعها وحدة في الموضوع .

4-10- **الصعوبات كعلامة نمو في المجتمع العربي**:(القاهرة 1960)، ويتضمن محاضرة ألقاها الإتحاد القومي في دمشق وهي مترجمة من الفرنسية الى العربية، ويتمثل هذا الكتاب فيما أضافه في (ذهاني السهولة والصعوبة).

4-11- **في مهب المعركة**:(القاهرة 1961) وهو مجموعة مقالات كتبها في باريس في نهاية الأربعينات و بداية الخمسينات ، وحينما لجأ الى القاهرة عام 1956، بدا له أن يترجم هذه المقالات ينشرها بالعربي.

4-12- **ميلاد مجتمع**:(القاهرة 1962) وقد قام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين، نشر دار الفكر ، وهو من القطع المتوسط، وعدد صفحاته 107 صفحة.

4-13-**أفاق جزائرية** (الجزائر 1964) وقد نشرته مكتبة عمار، القاهرة.[1]

4-14- **مذكرات شاهد القرن**: القسم الأول (الطفل)(الجزائر 1966)، وتحدث فيه مالك بن نبي عن المرحلة الأولى من حياته(1605-1930) وما جرى فيها من أحداث بين تبسة وقسنطينة أيام الدراسة، وذكرياته الطويلة التي شكلت فيما بعد مدخلا لتفسيير الواقع الإجتماعي.

4-15- **إنتاج المستشرقين و أثره في الفكر الإسلامي الحديث**:(القاهرة 1969) نشرته مكتبة عمار القاهرة، عام 1970م، وهو من القطع الصغيرة وعدد صفحاته 62 صفحة.

[1] بريون ، فوزية ، المرجع السابق ، ص 31

4-16: **مذكرات شاهد القرن:** ويتكون من جزأين : الجزء الأول بعنوان "الطفل" وقد ترجمة مروان القنواتي، و الجزء الثاني بعنوان "الطالب" وقد ترجمه مالك بن نفسه ، نشره دار الفكر بيروت، الجزء الأول عام 1969م من القطع المتوسط، الجزء الثاني بعنوان "الطالب" طبع عام 1970م.

4-17: **مذكرات شاهد القرن** :القسم الثاني (الطالب)(بيروت 1970) وصدر القسم الثاني من هذا الكتاب باللغة العربية، وقد تحدث فيه عن مرحلة أخرى من حياته في فرنسا (1930-1939) قضى أغلبها في الدراسة.

4-18 **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي:** (القاهرة 1971) وقام بترجمته "محمد عبد العظيم على "نشر دار الدعوة، عام 1970م وهو من القطع المتوسطة وعدد صفحاته 71 صفحة.

4-19: **المسلم في عالم الاقتصاد** :(بيروت 1972) دار الفكر وعدد صفحاته من 111 من القطع المتوسط.

4-20:**بين الرشاد والتيه:**(طرابلس، لبنان،1977) نشر دار الفكر عام 1978م ،وهو من القطع المتوسط ، وعدد صفحاته .174

4-21: **وجهة العالم الإسلامي** *:(دمشق ،1954) وقام بترجمته عبد الصبور شاهين نشر* دار الفكر، وهو من القطع المتوسط، صفحاته 173. عبد الصبور شاهين، وهو من القطع المتوسط.[1]

4-22: **وجهة العالم الإسلامي:** الجزء الثاني، المسألة اليهودية،عمر كامل مسقاوي ،،دار الفكر،سوريا سنة 2013، وعدد صفحاته .160

4-23**دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين:**(بيروت 1977) نشر دار الفكر في كتاب واحد، وهو من القطع الصغير وعدد صفحاته .62

[1] بريون ، فوزية ، المرجع السابق ، ص 32

4-24 **من أجل تغيير الجزائر**:(الجزائر 1989) هو مجموعة مقالات كتبها بالفرنسية ، وجمعت من جريدة الثورة الإفريقية ، وتضمنت الأحداث التي جرت في الستينات (1964-1968)، وقد جمعت بعد وفاته.[1]

وفضلا عما سبق ، فإن بعض مؤلفاته قد تم جمعها وترتيبها، بعد وفاته في إطار كتابين هامين وهما:

أولا- **القضايا الكبرى**: وهو كتاب صدر بالفرنسية في الجزائر سنة 1976، ويشمل على المؤلفات التالية:

أ/أفاق جزائرية.

ب/إنتاج المستشرقين و أثره في الفكر الإسلامي الحديث.

ثانيا :**تأملات**: (دمشق 1961) وقد نشرته دار الفكر، وهو من القطع المتوسط وعدد صفحاته 205. ويشمل المؤلفات التالية:

أ/حديث في البناء الجديد.

ب/الصعوبات كعلامة نمو في المجتمع العربي.

ج/ تأملات في المجتمع العربي.

ثالثا: المخطوطات:

وتوجد كتب غير منشورة للأستاذ مالك بن نبي، وهي مازالت مخطوطات بخط يده ومنها:

*خطاب مفتوح لخروتشوف و إيزنهاور.

*دولة مجتمع إسلامي.

*مذكرات شاهد القرن-القسم الثالث-بعنوان " الأستاذ"

[1] بريون ، فوزية ، مرجع سابق ، ص33

*نموذج لمنهج ثوري.

*المشكلة اليهودية.

*العفن .

*اليهودية أم النصرانية

*دراسة حول النصرانية.

*مجالس دمشق.

*مجالس تفكير.[1]

[1] بريون ، فوزية ، مرجع سابق ، ص34

المبحث الثاني: العوامل الثقافية والفكرية في تكوين مالك بن نبي:

المطلب الأول: الظروف المحيطة في تكوين مالك بن نبي .

عاش مالك بن نبي طفولته كغيره من أبناء جيله من الجزائريين الذين فتحوا عيونهم على بلد مسلوب الحرية و الكرامة، جعلت منه الصليبية الأوروبية، ممثلة في فرنسا .الضرع الحلوب ومخزن القمح بالنسبة لهم .فانعكس الوضع الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي و السياسي في وجدان الطفل" الصديق" فشاهد بعينه حراكا إجتماعيا لعائلات بأكملها من الريف إلى المدينة، ومن المدينة الى الخارج، و إلتقت أذناه من جدته زوليخة عن العائلات القسنطينية التي هاجرت الى تونس و ليبيا ومصر ومنها الشام و الحجاز و العراق. وكان المستعمر يتعقبهم بالقتل خارج القانون والهتك . ولم يبق إلا الفلاح المتشبث بالأرض الوعرة التي استنكف الاستعمار عن أخذها وتذليلها..

كان مالك بن نبي يشاهد في بزور نمط إجتماعي فرنسي على حساب نمط إجتماعي جزائري منحدر ،كان الفقر المدقع يلف بالمدينة تبرز معه ظواهر إ جتماعية سلبية كان الفقر و الجهل والمرض عنوان لها، وكان لتكريس النمط الغربي بكل تدعياته أثر بالغ على البنية الإجتماعية الذي حطم التوازنات السياسي و اقتصادية، التي كانت هدفا مباشر منذ أن وطئت أقدام المستعمر أرض الوطن على شكل حملات تبشيرية ، فالمصلحة الوطنية تجمع بين الاستعمار و الاستشراق تدفع بأن يصبح كل منها يمثل عقلية فرنسية تعمل في حقل علمي واحد، وتخضع لسياسة متبعة واحدة فإذا كان الاستشراق علما و ثقافة فإن الاستعمار ثقافة و علم لذا يقول ملك بن نبي :" يجب علينا أن نتصور الاستعمار كما هو أي كعقلية علمية مطبقة في المجال السياسي.[1]

وكانت طبيعة الاستعمار الفرنسي ثقافية من الدرجة الأولى فهذا ملك فرنسا "لويس التاسع" قائد الحملة الصليبية ضد المسلمين بعد أسره، وبعد إفتدائه وفك قيده، وعودته الى وطنه فرنسا ، أوصى

[1] مشكلة الثقافة ،تر :عبد الصبور شاهين ،دار الفكر ،دمشق ، 2000 ص43

أبناء وطنه وصية مشهورة": إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده، ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم"[1]

وقد عبر عنها بكل صراحة مواطنه المستشرق (لوشاتلييه):" ينبغي لفرنسا أن يكون عملها في الشرق مبنيا قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل و التثبت من فائدته و يجدر بنا لتحقيق ذلك بالفعل أن لا نقتصر على المشروعات الخاصة التي يقوم بها الرهبان المبشرون و غيرها بها....وأنا أرجو أن يخرج هذا التعليم الى حيز الفعل ليبث في دين الإسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعية الفرنسية."[2]

إن وصايا ونصائح لويس التاسع ملك فرنسا، ومواطنه لوشاتلييه وأمثالها ماهي إلا نماذج لأشكال وأساليب لمحاربة الإسلام والمسلمين ، فالنموذج الأول يوصي بمحاربة المسلمين في عقيدتهم مباشرة ، و النموذج الثاني يوصي بمحاربتهم أيضا في عقيدتهم، لكن بالتربية العقلية وبسيف الثقافة التي لا يستطيع الرهبان المستشرقون وحدهم القيام بها، و التي لايتقن أداؤها وتنفيذ مشاريعها إلا المستشرقون المتمرسون.

المطلب الثاني : مالك بن نبي و ماسونية

فماسونيون الذي كان يحاور مالك بن نبي تارة من جهة ويحاربه في فرنسا وفي الجزائر بالطريقة الثقافية من خلال دس الدسائس له ثقافيا و سياسيا وعسكريا ،كان ضابطا مصاحبا لجيش الجنرال" أللنبي" أثناء دخوله القدس، وهو الذي كان مستشارا لوزير خارجية فرنسا في إتفاقية سايس بيكو، فقد كان حريصا أن لا يظهر في صورة الصراع وساحته، فكانت رسائله الثقافية تطرح في ثوب ثقافي وبذكاء حاد وبحذر شديد، فإذا كان المسلمون يعتقدون بعودة المسيح عيسى بم مريم إلى الأرض :" فلماذا لا يكون هذا المسيح الراجح هو الذي يعتقد به النصارى اليوم" فالمسلمون يعتقدون في شأن عيسى بما

[1] محمد قطب، واقعنا المعاصر ،ط2، الجزائر، مكتبة رحاب، 1989ص 178
[2] محمد قطب مرجع سابق ص 196

جاء في القرآن ، وهم يؤمنون به، ومن أجل ذلك يرجو ماسينيون أن توجه الجهود لتوحيد ذلك التقارب وجعلهم يعتقدون بعيسى بن مريم نفسه، لكن بإسمه المسيحي عيسى بن الله.

وفي سنة 1924 إختيار المستعمر الفرنسي مدينة قسنطينة لانعقاد مؤتمر المبشرين وهو اختيار مقصود، فهي قلعة صامدة حصن منيع على المشاريع الاستعمارية وهي نواة الحركة الوطنية الاصلاحية ،فقد قال المستشرق المبشر الأمريكي (صمويل زويمر):" إنكم أعددتم نشأ لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ،ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشأ الإسلامي طبقا لما أراده الإستعمار المسيحي لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات فإذا تعلم فللشهوات، وغذا جمع المال فللشهوات ، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء .إن مهمتكم تمت على أكمل وجه، وانتهيتم إلى خير النتائج، وباركتكم المسيحية ،ورضى عنكم الإستعمار".[1]

فإذا كانت فرنسا من أكثر بلدان أوروبا ممارسة للغزو الثقافي في مستعمراتها الفرنسية على الإطلاق لهذه السياسة ، وأصبحت نموذجا يسترشد به على سياسية

ثقافية، التي كان المستشرقون مهندسيها فكان الغزو في الجزائر تم بأبشع الأساليب وظهر في أكمل صورة وبلغ أخطر مراحله. فالجزائر هي أول وأهم مستعمرة عربية إسلامية لفرنسيا في الشرق و إفريقيا، وهي أقرب مستعمراتها إليها مسافة، وهي أكبرهم مساحة، وأغناهم موردا، وأصبحت فيما بعد المستعمرة البترولية الوحيدة لفرنسا ، كما أنها بوابة فرنسا على بقية بلدان المغرب وإفريقيا إذ تحيط بها على حدودها خمس مستعمرات فرنسية أخرى تسللت لها عبر الجزائر، وبالجزائر أقامت فرنسا أكبر جالية إستطانية لها خارج فرنسا تتمتع بما لم تتمتع به حتى في فرنسا سياسيا و إقتصاديا ،وبالجزائر كان مقر إقامة الزعامة الدينية على حساب المستعمرات الإفريقي ففي الجزائر كان مقر إقامة الكاردينال "لا فيجري" صاحب الولاية على باقي أسقافه إفريقيا.

[1] محمد قطب مرجع سابق ،ص 386

هذا التميز المتمثل في الموقع ،كان يقابله تميز أيضا في نوعية الإستعمار، وطبيعته الثقافية ومماسته التطبيقية على المجتمع الجزائري ، وعلى تركيبته السكانية ،فبقدر ما عززت فرنسا موقعها في إفريقيا و البحر المتوسط جغرافيا وعسكريا وسياسيا، بفضل الجزائر ،كانت تعمل أكثر لتعزيز وجودها الثقافي في المجتمع الجزائري ، لعملها بأهمية مكانة الجزائر وعلاقة سكانها مع محيطهم العربي و افريقي و الإسلامي و المتوسطي، فكانت الجزائر نموذجا فريدا ومتميزا ،جغرافيا و إجتماعيا لجهود سياسة فرنسا الرامية لفرنستها قلبا وقالبا، جسدا وروحا

فقد لاحظ الدارسون أن الإستعمار الفرنسي في الجزائر في شقة الفكري و الثقافي حول طمس كامل معالم الشخصية الجزائرية في كتابه (استراتيجية الاستعمار و التحرير) يقول جمال حمدان:" ولعل الجزائر هي المثل الأكبر حيث فرض المستعمر أسماء فرنسية على مئات من المواقع و الماكن إبتداء من أكبر المدن الرئيسية حتى أصغر القرى و النجوع النائية ".[1]

إن هذه الأساليب الإستعمارية التي لم ير العصر الحديث مثيلا لها، فقد سمت الجزائر" فرنسا فيما وراء البحار "البحار "و ادعت "أن الجزائر أرض فرنسية" ونعتت وزير الخارجية" بوزير ما وراء البحار ". ولكي نفهم من البداية منطلق التعامل الفرنسي مع الجزائر ،خاصة في المجال الثقافي, وقد يكون الكاتب الفرنسي (أوجست برنارد) أصدق من عبر بوضوح وصراحة على هذه السياسة الثقافية الإستعمارية إتجاه الجزائر حينما قال:" إننا لم نحضر للجزائر لإقرار الأمن، بل لنشر الحضارة و اللغة و الأفكار الفرنسية وليست الجزائر مستعمرة كالهند الصينية، ولاهي دومينيون مثل كندا ولكنها جزء من فرنسا كما كانت أيام روما ....إننا نريد أن نجعل هناك جنسا يندمج فينا عن طريق اللغة و العادات ...سيتم هذا بعد نشر لغة فيكتور هيغو".[2]

لقت السياسة الإستعمارية في الجزائر قائمة على القهر و السيطرة و التحقير المنظم أثرها في إهتمامات مالك إبن نبي وتوجهاته، فلقد كانت تشغله هذه السياسة وهو يراها تحول ساحة الجوائر أرضا

[1] جمال حمدان ،إستراتيجية الإستعمار و التحرير،ط1 ،بيروت، دار الشروق ،1983ص 241
[2] عبد الله عبد الجبار ،الغزو الثقافي في العالم العربي،ط3،جدة ، مطابع الروضة ،1980ص 16

للصراع، تستخدم فيه شتى الوسائل المادية والمعنوية ،خاصة حين أخذ يتعرض شخصيا لإنعكاساتها على شكل مباشر ....وكان يرى أن معايير القبول في معهد الدراسات الشرقية لدراسة المحاماة خاضعا لمقياس سياسي .وحين ينهي دراسته في الهندسة سنة 1936 يتقدم بطلب الى الوزير الفرنسي المسؤول لتأسيس معهد بقسنطينة لتحضير الطلبة الجزائريين الراغبين في دخول الهندسة ، يهمل طلبه و لم يأتي رده. ذلك يوضح في ذهنه أن المستعمر يحاول أن يدخل في نفسية المستعمر بأنه غير مؤهل للأعمال المميزة ، وليس لديه القدرة على بلوغ المراتب العليا.

المطلب الثالث : مالك بن نبي و تجربته مع المستعمر

وقد كانت تجاربه الشخصية مع المستعمر عاملا حاسما في نضجه السياسي والفكري و الثقافي، فقد كان يرى أن المستعمر يتابع عمله باستمرار ،وبلغة خفية وصامتة ويجد الخطط بحسب الظروف، ويتكيف معها ، حتى أنه يتخذ الأحيان طرقا وسبلا، لا ينتظر أن يتخذها او يتبعها لبعدها ظاهرا عن الميدان الذي تدور فيه المعركة ...إن الاستعمار يفتح دائما في الصراع الفكري أبوابا جديدة ، لم نكن نفكر أنه سيأتي منه الهجوم ،فيأتي الهجوم من تلك الناحية التي لم نعد لها عدتها، ولم نستعد لضد الغارات التي تأتينا منها، ويري أن الاستعمار هو الشر نفسه ،وإنه صورته المجمسة على الأرض .[1]

إن إحساسّ إبن نبي" بالمشكلة الاستعمار وأن المستعمرات تكثيفا واضحا في معالجاتها الفكرية، ففي باريس وهو يحمل هذا الإحساس راح يتبع منهجيا تاريخ الحضارة الغربية، ويدرس جذورها فلاحظ أن العصر الصناعي .وهو حلقة من حلقات هذه الحضارة .حين يطرح العلاقات الإنسانية في إطار كمي وقيمي، تفسر طبيعة الظاهرة الاستعمارية لديه كانعكاس سلبي على مسيرة الإنسانية سياسيا، وعسكريا وفكريا وتربويا.

لقد كان مالك بن نبي وهو في الجزائر أو في باريس ،يعيش الأحداث ويدرس ردود الأفعال الإجتماعية و السياسية، وبالذات ردود أفعال الحركات الوطنية إزاء الظاهرة الاستعمارية فلم يجد رد الفعل بمستوى

[1] الصراع الفكري في البلاد المستعمرة (ب.ط)دار الفكر ، 2000 ص 64،ص 113

الفعل وبكاته الصراعية ،مما نبهه بعد متابعة تأملية وميدانية الى جانب أخر من المشكلة ، أما فيما بعد القابلية الاستعمار أي استعداد الناس وتهيؤهم النفسي و الاجتماعي وإلى أن يكونوا مستعمرين .

لقد كان مالك بن نبي" ناقما على المؤتمر هام 1936 و حين زار وفد من جمعية العلماء المسلمين الجزائرين فرنسا كان على رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس ، و البشير الإبراهيمي و الأمين العمودي ، والشيخ الطيب العقبي لأنهم في منظوره لا يدركون أن المستعمر همه توريط خصومه وتعريتهم ، ففي نفس الوقت الذي كان الوفد ينزل في فندق (قروند هوتيل) تنقل الصحافة نبأ مقتل مفتي الجزائر (بن كحول) وتتهم في قتله جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .لم يكن تلك الطعنة من الخلف موجهة ضد الحركة الإصلاحية ، ولكن الظرف طان يضفي عليها معنى الطعنة في صدر المؤتمر بالذات، الطعنة التي ألقته فعلا قتيلا في مهده ، بعد شهر فقط من ولادته و تبخرت في لحظة تلك الوحدة المقدسة التي ضمت في صف واحد كل القوى الشعبية بعد ربع قرن من سير حثيث موفق نحوها، ويضيف مالك بن نبي :" و الأن بعد ثلث قرن لم يتغير حكمي في القضية: إن الظروف السانحة و ضعت العلماء أمناء على مصلحة الشعب، فسلموا الأمانة لغيرهم لأنهم لم يكونوا في مستواها العقلي، وسلموها لمن يضعها تحت أقدامها لتكون سلما يصعد عليه للمناصب السياسية .[1]

إن غوص مالك بن نبي في المنهج التتبعي و التأملي في براثن التفكير الاستعماري في الجزائر ،قد منح وعيه المعلن صيغا يخالف فيها كثيرا وعي الأخرين، فجمعية الطلبة الجزائريين المسلمين مثلا، تفهم كتابه (شروط النهضة) بأنه مضر بالقضية الجزائرية، وتصفه مجلة (العروى الوثقى) بالفرنسي مسلم ،ثم في جريدة البصائر يوصف بأنه يأخذ كلامه من مثقفين فرنسيين ،وتصدر العام 1954 إدانة له ، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تدين كتابة (وجهة العالم الإسلامي)، كما أن الاختلاف مالك بن نبي مع إبن باديس في مرحلة ، ومع العربي التبسي في مرحلة لاحقة، فضلا عن اختلافه مع الليبراليين و الماركسيين ، وكذلك مع الحكومة المؤقتة ،وما تلاها من عهدي الرئيسين (بن بلة) و(هواري بومدين) ليستقيل من وظيفته كمدير عام للتعليم العالي في عهد بومدين ، كل ذلك يعكس حالة الاغتراب التي

[1] في مهب المعركة ،مرجع سابق ص 190

عاشها "إبن نبي" فكريا وسياسيا، حتى أن صلته بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم ترق غلى أن يكون عضوا فيها، أو بالأحرى وكما يقول :" دون أن تدعوني هذه الجمعية للمساهمة في سؤونها، حتى لو قدمت لها الطلب، من أجل ذلك وفي بعض الظروف القاسية في حلبة الصراع الفكري.[1]

والخلاصة المستقاة من متابعة ظاهرة الاستعمار و الاستشراق أن الصراع الدائر رحا، هو بالأساس صراع فكري ثقافي لايجابه إلا بعملية تغييرية ذات بعد تربوي يحمل وعاء ثقافيا .وإذا ما حاولنا إستجلاء الواقع الثقافي الذي أسهم في تكوين فكر مالك بن نبي مستقبلا فهي تلك القراءات التي شكلت فكره، و التخصص العلمي التقني الذي أمده بالخصائص العلمية و المنهجية التحليلية التي إستفاد منها في كتاباته و حواراته و إنتاجه العلمي، ونعني بها كذلك تلك المنابع المعرفية و التعليمية و العلمية التي تلقاها عبر محطات حياته المتعددة.

فقد إختلف الصديق" منذ الصغر وهو في مرحلة الابتدائية الى الكتاتيب لتعلم القران الكريم كبقية أترابه فأمضي فيها أربع سنوات دون أن يتجاوز الحزب الأول الأعلى فكان يتعرض لعقوبة الأب ومعلم القران، بفعل التغيب عن الدراسة فيقول:" لقد أرسلوني الى المدرسة الفرنسية ، فكنت أقصدها كل يوم في الصباح الباكر لأكون فيما بعد عن الثامنة صباحا في المدرسة الفرنسية ، وكنت أجد في ذلك صعوبة كبيرة، أضف الى هذا أن الفارق الذي كنت أحس به بين المدرستين و المعلمين ."[2]

إلا أن تلك الأيام قد بقيت راسخة بذهنه، فقد شكلت التربية التقليدية في الكتاتيب فكره التربوي فما زالت .برغم السنين .في ذهنه :" وإن من ذكريات تلك الأيام مالا يزال في مخيلتي، فقد كنت كباقي التلاميذ أغسل كل صباح لوحي الحجري في بركة ماء صغيرة، تقع عند زاوية المدرسة ، ومتى تشبعت مياه البركة بذلك الحبر الذي كنا نكتب فيه وهو (الصماغ)، كنا نعمد الى نقل المياه الملوثة بدلو لطرحها في مكان خاص .شربت ورفاقي مرة من هذه المياه الملوثة لاعتقادنا بأنها كانت تضم كلمة الله. لقد كان قصدنا من ذلك نبيلا ومؤثرا ، فما أردناه هو أن نشرب كلمة الله المقدسة

[1] مرجع سابق ص24
[2] مرجع سابق ص 26

بالذات"[1] في المرحلة التي تلتها من قراءة عديد الكتب من التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس و الأدب، وكان يأتي على كل ما تكتبه الصحف و المجلات العربية و الفرنسية .مثل جريدة (الإقدام) للأمير خالد، و الإنسانية التي تصدر عن الحزب الشيوعي، وقرأ (كيف نفكر؟) للأمريكي" جون ديوي" و إطلاع على كتابات المستشرقين ككتاب (الإسلام بين الحوت و الدب)لأوجين يونغ ، وكتاب (تحت ظلال الإسلام الدافئة) لإيزابيل هارت.

ومن الكتب ذات الطابع التاريخي و الحضاري التي عكف منها مالك بن نبي على قراءتها في بداية وجوده في فرنسا هو كتابه (أرنولد توينبي) المؤرخ البريطاني ، ونظريته في ميلاد الحضارة "التحدي و الإستجابة"، ولكنه صاغها وفق المنظور الإسلامي على ضوء القران الكريم في كتابه (ميلاد مجتمع)، وأخذ عن (هرمان دي كسرلنج) نظريته في "الفكرة الدينية" وأنها هي المركب لعناصر الحضارة، وقرأ للفيلسوف الألماني (نيتشيه)" هكذا تكلم زرادشت" وقد شغله فكريا فترة من الزمن كما يقول ، وقرأ ل" إيمانويل كأنط" و تأثر بفكرة (الحق والواجب) التي احتلت مكانة واسعة وأصبحت لازمة تربوية في فكره ، كما قرأ لكبار علماء علم النفس من أمثال (كونديلا) الذي يعد أستاذا لمدرسة علم النفس الفرنسية الذي وضع عقله وأفكاره وفضوله وثقافته في إتجاه محدد.[2]

وإذا كان للقراءات الغربية التي كانت رائجة في ذلك الوقت بفعل الحراك الإجتماعي في فرنسا ،وتوفر الكتب و المكتبات ، ودور النشر ، فإن نصيبه من القراءات في التراث العربي الإسلامي لم تكن هينة، فقد تلقى في صغره دروس التوحيد عن شيخه(مولود بن موهوب) و الفقه (بن العابد) وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس التي كانت الإدراة الفرنسية تعرقل وصولها الى فرنسا. وقرأ مالك بن نبي لأحمد رضا كتابه (الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق) و (رسالة التوحيد) للشيخ محمد عبده. وفي شأنهما يقول :" أعدهما الينابيع البعيدة و المحددة لغتجاهي الفكري... هذان المؤلفان أثرا على ما أعتقد في أبناء جيلي من المدرسيين. أنا مدين لهما على كل حال بذلك التحول في فكري منذ تلك

[1] مرجع سابق ص24

[2] مرجع سابق ص114 ص368

الفترة. لقد رسم لي كتاب أحمد رضا مزودا بالشواهد الكثيرة بهاء المجتمع الإسلامي في ذروة حضارته، وكان ذلك معيارا صحيحا نقيس به بؤسه الاجتماعي في العصر الحاضر. أما كتاب محمد عبده و هنا أتحدث عن المقدمة الهامة المترجمة حول غنى الفكر الإسلامي عبر العصور.فقد أعطاني مستندا للحكم على فقره المحزن اليوم".[1]

وقد قرأ كتاب (طبائع الإستبداد) لكواكبي وكتاب (أم القرى) الذي قرأه في ليلة واحدة وعرف من خلاله كيف أن الإسلام بدأ ينظم صفوفه ليدافع عن نفسه ويقوم بحركة بعث جديدة كتب المنفلوطي)" النظرات و العبرات" ومقدمة إبن خلدون التي ترجمها (سلفستر دساسي)الى الفرنسية و التي ساعدته في بناء نظريته في الدورة الحضارية و (مروج الذهب) للمسعودي . ومع ضعفه في العلم الشرعي ونقص في الإطلاع على الأحاديث النبوية إلا أن عنده إطلاعا واسعا وعميقا على التاريخ الإسلامي، وعنده القدرة على فهم الأحاديث و الأيات ، وخاصة التي تتعلق بسنن التغيير، وساعدته في ذلك حواراته من نقاشاته مع صديقه (حمودة بن ساعي) الذي كان يحضر لدرجة دكتوراه عن أبي حامد الغزالي" في جامعة سوربون.

أما الجانب العلمي و التقني في الثقافة الغربية، فقد كان له الأثر البالغ في تفكيره التربوي و الإجتماعي، و في تكوينه المنهجي أيضا، فإذا البذور الفكرية لهذا التأثير قد بدأت معه بالثقافة الديكارتية و العلمية، التي تلقاها عن مدرسيه الفرنسيين في الثانوية الجزائر ،فإن إنتقاله الى باريس ولقاؤه العلمي بسلسلة الأب مورو(لتفهم)قد وضعت أساسا لا ثقافة له ومعارفه العلمية فحسب ن وإنما بلورت تكوينه الفكري و المنهجي الى حد بعيد :" بحيث لن تهيئني فقط لدخول مدرسة اللاسلكي ، بل غيرت جذريا إتجاهي الفكري ،إذ أسكنت في نفسي شيطان العلوم، ولم يكن الأب "مورو" قد فتح باب المدرسة معينة ، بل فتح لي باب علم جديد يخضع فيه كل شيء للقياس الدقيق للكم والكيف، ويتسم فيه الفرد أول مايتسم بميزات الضبط والملاحظة."[2]

[1] مرجع سابق ص31،ص30
[2] مرجع سابق ص 66

كان لهاته العوامل الإجتماعية و الثقافية والتربوية المجتمعة شكلت في عمومها التفكير المنهجي والصياغة الفكرية الدقيقة، لذا لم تنفصل كل كتاباته عن الجانب التقني و المعادلات الرياضية المحضة التي فسر به كل الظواهر الإجتماعية و السياسية الإقتصادية التي تعد نقلة نوعية في سديم المثقف العربي. [1]

[1] مرجع سابق ، ص66.

خلاصة :

تطرقنا في هدا الفصل إلي ثلاثة نقاط رئيسيا رأيناها شكلت بحق ظروف حياة مالك بن نبي

أولا : حل الاستعمار من الداخل و الخارج و شكلت المحطات الاجتماعية و الأسرية و الثقافية محاور كبرى في مسيرة الرجل .

ثانيا : المحطات الاجتماعية صنعت من مالك بن نبي إنسانا ناقدا و مفكر في الحلول .

ثالثا : و في الجانب الأخير تكلمنا في أهم مؤلفاته و انجازاته التي كتبها و التي تعد تحفة المكتبات العربية

الفصل الثاني

الفصل الثاني: الإنسان في فلسفة مالك بن نبي.

تمهيد

المبحث الأولى: مفهوم الإنسان

المبحث الثاني: أبعاد تشكل الإنسان

المبحث الثالث: مراحل و إبعاد المعرفة العلمية لدي الإنسان

الخلاصة

تمهيد :

لقد اهتم مالك بن نبي لمفهوم الفرد و محاولة دراسة شخصية الإنسان المسلم المعاصر و إيجاد حلول واقعية و الانتقال من الجمود الحضاري إلي حركة إصلاحية تهدف إلي ترميم الإنسان المسلم – إنسان ما بعد الموحدين – و نقله مما هو عليه إلي مرحلة جديدة هي : مرحلة الحضارة و الرقي في جميع المجالات الثقافية و الاجتماعية و السياسية و حتى الاقتصادية .

المبحث الأولى: مفهوم الإنسان.

1.بناء الفرد مقابل الشخص و الفرد الخام:

- **بناء الفرد مقابل الشخص :**

يمكن اعتبار تناول مالك بن نبي مفهوم الفرد بالدراسة إنما هي تحليل نفسي لشخصية الإنسان المسلم المعاصر الذي هو في النهاية محصلة هو إنسان محصلة صنعته تراكمات الواقع الاجتماعي عبر تدفقات التاريخ المطهم بالأحداث عبر عصور الانحطاط . وعلى هذا لا يمكن الإنسان إلا أن يكون في السياقين التاليين:

السياق الأول: إما أن يكون في وضعية سلبية تتمثل في ممارسته للحياة وهو لا يعلم شيئا عن الأهداف السامية التي خلق من أجلها، بحيث تتجلى في هذه المرحلة المطالب العضوية الحيوية الغريزية.

السياق الثاني: إما أن يكون في وضعية أسبقت التربية دلالتها التاريخية على حياته الشخصية التي يختلف بها بقية المخلوقات.[1]

- **الفرد الخام:**" إن الطبيعة تأتي بالفرد في حالة بدائية ، ثم يتولاه المجتمع تشكيله"، وهو إنسان يمثل الحياة البدائية في أوضح صورها الواقعية، وقد استعمل مالك بن نبي هذا المفهوم كأداة تحليلية للعملية التربوية للإنسان مازال لم يخضع بعد للتكييف التربوي، ويعنى به هو ذلك الكائن الفطري لحظة ولادته الذي يستهدف إعداده للاندماج في الحياة الاجتماعية و الشروع في القيام بالدور الذي ينسجم مع استعداداته الفطرية ومهارته المكتسبة. أي أن الإنسان يولد (فرد خام) مزود باستعدادات ومواهب وقدرات كامنة تؤهله للقيام بوظيفة التي خلق من أجلها ،إذا ما أحسن تكييف هذه الاستعدادات و المواهب و الطاقات من جهة، ومن جهة أخرى تأهيله لهذه الوظيفة.[2]
-

[1] باي ، محمد بغداد ، التربية والحضارة . البحث في مفهوم التربية وطبيعة علاقتها . عالم الافكار ، ط1 الجزائر 2006، ص120
[2] باي ، محمد بغداد ، نفس المرجع ، ص 121

2- ثلاثية الانسان الطبيعي والفطري والمكيف :

- **الإنسان الطبيعي**: هو إنسان طبيعي يخضع لقانون الغريزة ويقوده ويتحكم في تصرفاته ، لذا فإن كل اهتماماته منصبة رأسا للمحافظة على النوع ويحدد وجهتها." فعندما تعهد الفرد عند نقطة الصفر، نجده في الحالة التي يطلق عليها بعض المؤرخين المسلمين كلمة (الفطرة) أي مع جميع غرائزه كما وهبته إياها الطبيعة، فالفرد في هذه الحالة ليس في أساسه إلا الإنسان الطبيعي."

لكن في نهاية المطاف تتولى الفكرة الدينية إخضاع غرائزه لعملية تكييف تمثل ما يعرف في علم النفس الفرويدي ب(الكبت). وليس من شأن هذه العملية القضاء على الغرائز، ولمنها تتولى تنظيمها في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية،فالحيوية الحيوانية الممثلة في الغرائز بصورة محسة لم تلغ ،ولكنها خضعت لقواعد نظام معين، وفي هذه الحالة يتحرر الفرد جزئيا من قانون الطبيعة المفطور في ذاته، ويخضع وجوده كله للمقتضيات الروحية التي أوجدتها الفكرة الدينية في نفسه، إيجادا يمارس معه حياته في هذه الحالة الجديدة طبقا لقانون الروح.[1]

- **إنسان الفطرة**: مصطلح إنسان الفطرة هو مصطلح ديني جاء ذكره في القرءان الكريم والسنة النبوية ،لدلالة عن الوضعية التي يخلق عليها الإنسان وهو لم يتأثر بعد بملابسات الزمان و المكان .و إذا تتبعنا تحليل مالك بن نبي لهذا المصطلح ولعموم الشخصية الإنسانية يمكن الاهتداء إلى البعد الديني لهذه الشخصية " فنفسية الفرد في المجتمعات التاريخية على الأقل مفعمة بالنزعة الدينية ، تلك التي تعد جزءا من طبيعته ،وهو ماجعل علم الإجتماع يقول في تعريف الإنسان بأنه (حيوان ديني)، وهو بذلك يحدد جانبا من الأساس النفسي العام في أفراد النوع، وفي كل فرد يبني شخصيته الخاصة على هذا الأساس .أي أن الدين يتدخل في عملية البناء و يتدخل مباشرة في عملية التكييف التي هي عملية ترشيح أو تنحية جانب، وعملية إنتقاء أو بعث للإحساس من جانب أخر."[2]

[1] باي ، محمد بغداد ، نفس المرجع ، ص 121
[2] نفس المرجع ، ص 122

- **الإنسان المكيف:** وهو مرحلة ثانية تتبع مرحلة الإنسان الفطري، وهو إنسان قد تم تكييف تربويا، ويسمى الإنسان في هذه الحالة الشخص أو الفرد المكيف و المؤهل للأنتماء ما في المجتمع و المؤهل للدخول في التفاعلات و علاقات إجتماعية للقيام بأدوار يتطلبها إنتماؤه، وفي هذا الصدد يقول بعد أن يدلل على أن الحضارة في مجالها الثاني قد تمت في عالم الأشخاص، يقول أن العمل الأول في طريق التغيير الإجتماعي :" العمل الذي يغير الفرد من كونه(فردا) الى أن يصبح (شخصا) وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربط النوع الى النزعات إجتماعية تربطه بالمجتمع". [1]

3- **إنسان ما قبل الموحدين** : هو إنسان في حالة سابقة للحضارة ، مستعد من الناحية النفسية للدخول في دورة حضارية جديدة بناء على مؤهلات طبيعية خان تنطوي عليها شخصيته، كما كان الوضع بالنسبة للأشخاص في عهد الرسول(صلى الله عليه وسلم)، والذين كانوا على أهبة الإستعداد لدخول في تجربة حضارية جديدة ، ولكن بعد أ، تتم عملية التكييف و الإشراط التي تستهدف لتأهيلهم للمساهمة في إنجاز هذه الدورة، ذلك لأن الإستعداد لايعدوا أن يكون شرطا أولا يقتضي جهدا من التكييف و الإشراك الذي يؤهله ليصبح قادرا على الإظلاع بمقتضيات الدور الذي سوف يناط به لإنجاز الدورة الحضارية بنجاح. "وقبل بدء دورة من دورات أو عند بدايتها يكون الإنسان في حالة سابقة للحضارة. أما في نهاية الدورة فإن الإنسان يكون قد تفسخ حضاريا وسلبت منه الحضارة تماما، فيدخل في عهد ما بعد الحضارة

....إذ أن الإنسان الذي تفسخ حضاريا مخالف تماما للإنسان السابق على الحضارة أو الإنسان الفطري ...فالأول ليس مجرد إنسان خارج عن الحضارة فحسب ،كما هي الحال مع الثاني الذي سميناه فيما سلف ب(الإنسان الطبيعي) إذ أن الإنسان مسلوب الحضارة لم يعد قابلا لإنجاز (عمل متحضر إلا إذا تغير هو نفسه عن جذوره الأساسية....وعلى العكس من ذلك، فإن الإنسان السابق على الحضارة يظل مستعدا.ما هو الحال مع البدوي المعاصر للنبي .للدخول في دورة حضارية)"[2]

[1] شروط النهضة ،ترجمة كاملة مسقاوي و عبد الصبور شاهين ،ط4 ،دار الفكر ، دمشق ، سوريا 1984 ص77
[2] شروط النهضة، مرجع سابق ص78

4 – إنسان ما بعد الحضارة وإنسان الحضارة :

- **إنسان ما بعد الحضارة:(إنسان ما بعد الموحدين)**: يرى مالك بن نبي أن في سقوط دولة الموحدين "سقوط حضارة لفظت أنفاسها الأخيرة ".[1]

وأنسان هذه المرحلة عاش في فترة من التمزق وتنمية الصراعات، وهو إنسان خرج من الدورة الحضارية لم يعد أي فعل حضاري فقد طاقته الحيوية ، وهو يعطينا صورة الإنسان المنحل حضاريا أو الإنسان الذي خرج من الدورة الحضارية.

ثم ينحو مالك بن نبي باللائمة على الإنسان المسلم الذي تخلى عن همته الحضارية، فاستخف به حكامه و أمراؤه" وليس من الصواب أن نبحث عن النظم ، بل عن العوامل الإنسانية المتمثلة في عجز الناس عن تطبيق مواهبهم الخاصة على التراب والوقت، فالتركيب الأساسي نفسه فقد تحلل معه الحياة الإجتماعية، ويؤرخ تلك الظاهرة في التاريخ الإسلامي بسقوط دولة الموحدين، الذي كان في حقيقته سقوط حضارة أخر ساعتها."[2]

ويستطرد مالك بن نبي في تشخيص واقع المجتمع مابعد الموحدين من زاوية إجتماعية أن جميع الأعراض التي ظهرت في السياسة أو في صورة عمران، لم تكن إلا تعبيرا عن حالة مرضية يعانيها الإنسان الجديد، الذي خلف الإنسان الحضارة الإسلامية ،الذي كان يحمل في كيانه جميع الجراثيم التي سينتج عنها في فترات متفرقة جميع المشاكل التي تعرض لها العالم الإنساني منذ ذلك الحين فالنقائض التي تعانيها النهضة الأن ،يعود وزرها الى ذلك الرجل الذي لم يكن في طليعة في التاريخ ،فنحن ندين له بمواريثنا الإجتماعية ، وفطرائقنا التقليدية التي جرينا عليها في نشاطنا الإجتماعي ، وهذا افنسان لم يكتف بدور المحرك الخفي الذي دفعنا إلى ماإرتكنا من خيانة لواجبنا، وأخطاء في حق

[1] وجهت العالم الاسلامي،عبد الصبور شاهين، ط5،دار الفكر 1986،ص 31
[2] وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق ص 31

نهضتنا، بل لقد إشترك معنا في فعلنا، لم يكتف بأن بلغنا نفسه المريضة التي تخلقت في جو يشيع فيه الإفلاس الخلق و الإجتماعي و الفلسفي و الحضاري، فبلغنا ذاته أيضا.

- **إنسان الحضارة:(إنسان الموحدين)**:هو إنسان وظف الدين اجتماعيا يقوم من

خلاله تركيب يهدف الى تشكيل قيم مستنبطة من النموذج المثالي تمر من الحالة الطبيعية لي وضع نفسي زمني ،يجعل من الإنسان العضوي وحدة اجتماعية ،يجعل من (الوقت) الذي ليس سوى مدة زمنية مقدرة بساعات تمر) وقتا إجتماعيا مقدرا(بساعات عمل)،ومن (التراب) الذي يقدم بصورة فردية مطلقة غذاء الإنسان في صورة استهلاك بسيط. مجالا مجهزا مكيفا تكييفا فنيا، يسد حاجات الحياة الاجتماعية الكثيرة تبعا لظروف عملية الإنتاج، فالتاريخ يبدأ في رأي مالك بن نبي" بالإنسان المتكامل الذي يتطابق دائما بين جهده وبين مثله الأعلى وحاجاته الأساسية ،و الذي يؤدي في المجتمع رسالته المزدوجة، بوصفه ممثلا وشاهدا".[1]

و الإنسان المتكامل في شخصيته هو الذي ينمي جميع جوانب شخصيته بشكل منسجم متناسق متكامل غلى أقصى درجة ممكنة من النمو، و التربية المتكاملة هي التي تدرك مطاب هذه الجوانب المختلفة كلها وتدرك وسيلة تنميتها الى أقصى درجة ممكنة من النمو، وتدرك حساباتها ونسب النمو المتكامل بين هذه الجوانب المختلفة حتى تشرف إشرافا دقيقا على توجيه هذه النسب في غطار من التناسق و التكامل.[2]

ولعل أهم ما يمكن الاهتداء اليه من خلال التأمل فيما في أفكار مالك بن نبي أن ثمة أمران أساسيان ركز عليهما في غمرة تحليله لإنسان الحضارة:

أولا: أنه لايمكن أن يستمر الإنسان في تكوين وبناء حضارة مادون أن يسترشد بالنموذج المثالي الذي جعله عبرة في حياته الاجتماعية وفي تفاعلاتها و في بناء شبكاته الاجتماعية لكي تتحول الثقافة الى مشروع تربوي أكثر شيوع وتكرر وتردد في المجتمع.

[1] وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق ص 32

[2] برغوث، الطيب،موقع المسالة الثقافية في استراتيجية التجديد الحضاري ؛ انودج مالك بن نبي ؛ ط1 ،-وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية ، الدوحة ، قطر ،1991 ص 65.

ثانيا: إذا كانت وحدة المجتمع هو إنسان الحضارة المتكيف و المتكامل الذي أيطت له عملية الشهود الحضاري التي تقف على قاعدة أساسية و هي الكمال (التقويم الحسن). [1]

[1] ، المسالة الثقافية في استراتيجية التجديد الحضاري مرجع سابق ص 66

المبحث الثاني: مراحل و إبعاد المعرفة العلمية لدي الإنسان

1-مراحل المعرفة العلمية عند مالك بن نبي:

شرح إبن نبي في كتابه" ميلاد مجتمع "المراحل الثلاثة التي مرت بها الحضارة الإسلامية التي تصلح أن تكون نموذجا للحضارات الأخرى، ويعتقد أن وسائل المعرفة التي هي الحس والعقل و القلب متكاملة ،ولا يستطيع أي إنسان الوصول إلى الحقيقة المطلقة إلا إذا أستعمل هذه الوسائل مجتمعة ومتكاملة ودون عزل إحداها عن الأخرى. ولا يرضى مالك بن نبي بهيمن العقل والروح على الغريزة، لأن ذلك يؤدي إلى توقف المد الحضاري عن وثبته، وقد تلفت من قبضة هذا القانون حضارة من الحضارات، والفكر الأوروبي ذاته الذي تشكل في جو العقلانية الفرنسية و الجمالية الإيطالية كان يسارع إلى الرجوع لأصله في كل مرة تنتابه فيها إستثارة أو تحد وافد من الخارج.[1]

فبين أن هذه المراحل تكون حسب التسلسل الاتي:

- **المرحلة الروحية** :ويطلق عليها مرحلة الحس وتعتبر عند ابن نبي هي المرحلة الأولى، وهي حالة فطرية ، تتم فيها إخضاع الغرائز لعملية التكييف و الاشتراط، ليتم تنظيمها وفق تطور المجتمع الناشئ، ويصف نفسية الإنسان المتوثب للقفز إلى الحضارة وتشكيل بنية ثقافية تبدأ بمرحلة الاحتكاك بالحضارات السابقة، فيقول عن هذا الموقف:" دخل العالم الإسلامي إلى صيدلية الحضارة طالبا الشفاء، ولكن من أي مرض؟ وبأي دواء؟ وبديهي أننا لانعرف شيئا عن مدة علاج كهذه ، ولكن الحالة التي تطرد هكذا تحت أنظارنا منذ نصف قرن ،لها دلالة اجتماعية يجب أن تكون موضع تأمل وتحليل. وفي هذا الوقت الذي نقوم فيه بهذا التحليل يمكننا أن نفهم المعنى الواقعي لتلك الحقبة التاريخية التي نحياها، ويمكننا أيضا أن نفهم التعديل الذي ينبغي أن يضاف إليه. فيجوز لنا أن نطلق على هذه الحقبة أنها (باردة الحضارة)، ولغة

[1] عبد اللطيف عبادة ،صفحات مشرقة من الفكر مالك بن نبي ، ط1 ،-باتنة، الجزائر دار الشهاب للطباعة و النشر ، 1984،ص155

علم الإلهيات (مرحلة الإرهاص) وجه فيها العالم الإسلامي جهوده الإجتماعية هادفا إلى تحصيل الحضارة"[1]

- **المرحلة العقل**: ويطلق عليها مرحلة العقل حيث تكون جميع الخصائص و الملكات تحت سيطرة (العقل)

،ويوصل المجتمع تطوره، وتكتمل شبكة علاقاته الإجتماعية ،فتشرع الخصائص الغرائزية في التشكل والظهور من جديد بقدر ضعف وإرتخاء الجانب الروحي، فيقول في هذا الصدد:" وفي الوقت نفسه يواصل المجتمع الذي أبرزته الفكرة الدينية إلى نور تطوره، وتكتمل شبكة روابطه الداخلية، بقدر إمتداد إشعاع هذه الفكرة في العالم، فتنشأ المشاكل المحسوسة ،لهذا المجتمع الوليد نتيجة توسعه، كما تتولد ضرورات جديدة نتيجة إكتماله. وحتى تستطيع حضارة تلبية هذه المقاييس المستجدة تسلك منعطفا جديدا ،فإما أن يتطابق مع (النهضة) كما نراها بالنسبة إلى الدورة الأوروبية ، وإما أن يتطابق مع إستيلاء الأمويين على الحكم، كما هو شأن الدورة الإسلامية. وفي كلتا الحالتين فإن المنعطف هو منعطف العقل.غير أن هذا العقل لايملك سيطرة الروح على الغرائز ، وحينئذ تشرع الغرائز في التحرر من قيودها بالطريقة التي شاهدناها في عهد بني أمية، إذ أخذت الروح تفقد نفوذها على الغرائز بالتدريج ، كما كف المجتمع عن ممارسة ضغطه على الفرد. ومن الطبيعي أن الغرائز لاتتحرر دفعة واحدة. وإنما هي تنطلق بقدر ماتضعف سلطة الروح.[2]

وهذا المناخ نفسه هو الذي يبين حدود العقل في تفسير كل الظاهر مما يفتح المجال لدورة الفكرة الدينية لتؤدي دورها في هذا المجال، كما يسهم الدين إلى حد كبير في تشكيل وتحديد المناخ العقلي لمجتمع ما.وهذا مايوجزه إبن نبي في قولهّ:" إن القران الكريم لم يأت قطعا ، وبصورة مباشرة ، لابالحساب العشري ولا بالجبر، ولكنه أتى بالمناخ العقلي الجديد الذي يتيح للعلم أن يتطور[3].

[1]-شروط النهضة، ترجمة كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين ، ط4 ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ،2000 ص49
[2]-شروط النهضة مرجع سابق ص76
[3]-شروط النهضة مرجع سابق ص77

- **مرحلة الغريزة:** ويطلق عليها مرحلة القلب ،تصور هذه المرحلة نهاية الدورة الحضارية وتحللها تحت سلطان(الغرائز) المتحررة من وصاية الروح والعقل، وعند هذه الحالة يصبح النشاط المشترك مستحيلا، ضاربا بأطنابه في أغوار الفوضى و الاضطراب ولقد حاول إبن نبي تطبيق منهج التحليل النفسي، في شرح منحى صعود وسقوط الحضارات، ويتبين ذلك بصفة أوضح عندما يتعرض لعوامل سقوط الحضاارة الإسلامية حيث أكد أن منحنى السقوط تخلفه عوامل نفسية أحط من مستوى الروح والعقل، وهذه العوامل هي الغرائز التي تظل ضعيفة ومتوارية عندما تكون الجوانب الروحية و العقلية قوية وظاهرة (متغلبة) [1]

2- أبعاد المعرفة عند مالك بن نبي :

- **البعد العلمي**: العلم الذي لا يترجمه عمل، يظل ترفا لا مكان له في وطن مازال فقيرا من الوسائل والأطر.[2]

المنطق العلمي هو العقل التطبيقي الذي يجسد الفعالية في النشاط على صعيد الفكر أو العمل، وهو عكس العقل المجرد الحالم الذي يواجه المشاكل بنزعات المديح أو الرومانسية أو اللفظية أو الذرية ،فإذا ركزنا في التربية الدينية على إثبات وجود الله لأناس يؤمنون به و أهملنا الحديث عن الوظيفة الإجتماعية لدين نكون قد إبتعدنا عن المنطق العلمي، ونكون قد غرقنا في خضم العقل التجريدي الحالم. و الحقيقة أننا لا نقدر علما حق ما دمنا لا نعلمه إلا في صورة نظرية.[3]

إن الفعالية تحدد إنتاجا، لأن الحركة فكرة ،و الفكرة لا تتبلور إلا في الإنتاج الذي يعبر عنه إبن بني بالمنطق العملي. فلكل نشاط وجهه السلبي ووجهه الإيجابي، لكن المنطق العملي يتحدد في فلسفة مالك بن نبي بالنشاط الإيجابي ، أي ذلك النو من النشاط الذي يمكن الإنسان صياغته مقياس عملي لإستخراج أقصى ما يمكن من الفائدة إنطلاقا من وسائل معينة.[4]

---

[1] بين الرشاد والتيه،ط2،دار الفكر دمشق ،1998 ص 38
[2] بين الرشاد والتيه،مرجع سابق،ص39
[3] عبد اللطيف عبادة،فقه التغيير في فكر مالك بن نبي مرجع سابق،ص63
[4] شروط النهضة، مرجع سابق ص95

مهما كانت بساطتها وقلتها لأن التاريخ في نظره يبدأ من مرحلة الواجبات المتواضعة الخاصة بكل يوم بكل ساعة وبكل دقيقة لا في معناها المعقد كما يعتقده عن قصد أولئك الذين يعطلون جهود البناء اليومي بكلمات جوفاء وشعارات كاذبة يعطلون بها التاريخ بدعوى أنهم ينتظرون الساعات الخطيرة و المعجزات الكبيرة.[1]

وعليه فإن أهم شيء تعاني منه حياتنا اليومية الأفعالية، إذ يذهب جزء كبير من أعمالنا في العبث و المحاولات الهائلة، بسبب إفتقادنا الضابط الذي يربط في حركتنا بين عمل وهدفه بين السياية ووسائلها، وبين الثقافة ومثلها، وبين فكرة تحقيقها.[2]

والإنسان المسلم أحوج مايكون إلى المنطق العلمي في ممارساته، لأن العقل المجرد متوفر في العالم الإسلامي، غيرأن العقل التطبيقي شيء يكاد يكون معدوما، حيث نرى جانبا كبيرا من الانفعالية في أعمالنا، وإذا ما أردنا حصرا لهذه القضية ،فأن مالكا يرى سبيلها الأصيل في إفتقادنا الضابط الذي يربط بين عمل وهدفه، وبين وسائلها وبين ثقافة ومثلها، وبين فكرة وتحقيقها، فسياسة تجهل وسائلها، وثقافتنا لا تعرف مثلها العليا وقد يقال إن المجتمع الإسلامي يعيش طبقا لمبادئ القرأن، ومع ذلك فمن الأصوب أن نقول إنه يتكلم تبعا لمبادئ القرأن، ولعدم وجود المنطق العملي في سلوكه الإسلامي.[3]

وعلى صعيد العلاج يرى مالك بن نبي أن القضية لاتعدوا أن تكون مشروطة بالمنهج، ولاشك أن تجسيد المنطق العملي في حياتنا السلوكية هي قضية تربية،[4]

يقول مالك بن نبي في هذا الشأن "لسنا نعني بالمنطق العملي ذلك الشيء الذي دونت أصوله، ووصفت قواعده منذ عهد أرسطوا، وإنما نعني به كيفية إرتباط العمل بوسائله ومعانيه، وذلك حتى لا نستهل أو نستصعب بغير مقياس يستمد معاييره من واقع الوسط الإجتماعي، ومايشمل عليه من

[1] في مهب المعركة، ارهاصات الثورة ، الطبعة ،3 دار الفكر ، 1981 ص78
[2] شروط النهضة مرجع سابق ص97
[3] في مهب المعركة ،مرجع سابق،ص 156،157
[4] الطيب برغوث، موقع المسألة الثقافية في استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي،ط1،دار اليانبيع،1993،الجزائر،ص13

إمكانيات أنه ليس من الصعب على الفرد المسلم أن يصوغ مقياسا نظريا يستنتج به النتائج من مقدمات محددة ،غير أنه من النادر جدا أن نعرف المنطق العملي اي استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة".[1]

فأهمية هذا العامل كونه يبحث عن الوسائل المناسبة، التي تجعل المثقف يربح الوقت ويقوم بأعظم الأعمال وأقل الأوقات ، وبأقل التكاليف ،ولا يخفى كم ينقصنا هذا المبدأ في مؤسسات مختلفة وما ينجر عن ذلك من مشاكل اجتماعية واقتصادية مختلفة، ولذلك نجد مالك بن نبي يلجأ إلى الواقع الاجتماعي المائل أمام عينيه .ونظرة غلى ما حولنا تكفينا لكي نلاحظ أن ضروب نشاطنا غالبا ما تتسم بالشلل، و إنعدام الفاعلية في الجانب الخاص والعام.[2]

- **البعد التربوي:** يقول مالك بن نبي في معرض حديثه عن دور المدارس و الجامعات و التكوين البيداغوجي في مقاعد الدراسة، والمعول ليها كأساس للثقافة :" لسوف تخيب امالنا التي عقدناها إذا ما عولنا في قضيتنا على العلم الذي نتعلمه في المدارس الرسمية أو غير الرسمية ،أو على ما تعدنا به السياسات الانتخابية، وما تعدنا إلا غرورا".[3]

فالمدارس وحدها لا تستطيع أن تقوم بتربية النشأ، بل يتعدى ذلك الى مجال ثقافي أرحب ،وأوسع مجالا ورؤية ،فالمعرفة لا تكتسب في المدارس العمومية ،بل هي مجموعة الخبرات التي يكتسبها الفرد في الحياة الاجتماعية، فلم تبلغ العلوم الإسلامية بعد درجة تحديد مصطلحاتها عامة، كما حدث للعلوم الطبيعية ،فإن في علم الاجتماع بعض المفاهيم التي تبدو أحيانا غير محددة في ذهن القارئ في البلاد الإسلامية، حيث نجد أن اللغات المحلية لما تتمثل تماما المصطلحات الحديثة، وقد يؤدي تعقد المصطلحات إلى مناقشات أقرب الى الطابع الأدبي منها إلى منطق العلم، كتلك المناقشة التي ثارت وتثور غالبا حول مصطلحي حضارة ومدينة في البلاد العربية، بيد أن هذه المناقشات لا تعين على جلاء الموضوع بل تجعله اكثر صعوبة.

[1] شروط النهضة ،مرجع سابق،ص95
[2] مشكلة الثقافة تر، عبد الصبور شاهين، دار الفكر ، دمشق ن 1981،ص 82
[3] شروط النهضة، مرجع سابق ص105

وقد إنتقد إبن نبي السياسات المتبعة في البلاد العربية عموما التي تقطع حبل الوتين بينها وبين المقامات الفكرية الكبرى في تاريخ الفكر الإسلامي، التي تعمل على توعية و توجيه الإنسان صوب الحياة الكريمةّ ليس لدى العالم استسلامي حتى الأن مجتمع فكرية تشرف على توجيه الحياة الأدبية، وعلى توثيق الصلات وتغذية المناظرات بين المدارس المختلفة، كما كان ذلك قديما بين مدرسة الغزالي ومدرسة إبن رشد.[1]

ويعطي أمثلة عن تلك العلاقة التي تمت بين الحضارات في إطار عملية الترجمة من وإلى العربية، والتي استخلصت فيها إنتاجات الفكر الهيليني، فقامت بنقل الإرث الفكري للحضارات السابقة، ويقدم المجهود التربوي الذي أنتجته الثقافة اليونانية عبر عصور من الزمن، فكان البعد التربوي للمعرفة هو العنوان الرئيس لهاته الكتابات، يقول:" لقد رأينا (الفارابي) ومدرسته في ميدان العلم والمعرفة ينقلون فلسفة أرسطوا المادية إلى الفكر العلمي الإسلامي ، ولكن بعد أن طبعوه بطابع إسلامي، كما رأينا من بعدهم،(توماس الإكويني) ينزع عن فلسفة أرسطو طابعها الإسلامي كما يطبقها على المجتمع المسيحي الذي كان يتهيأ بدوره للنشوء والارتقاء،"[2]

وفي محاولة منه لإستثمار الزمن تربويا، والذي أولاه أهمية كبرى في منظومة القيام الحضاري. إضافة الى الإنسان والتراب، فيقدم مالك بن نبي رؤية حوله تتعلق باستثمار الوقت في نطاقه المحدد ،في إطار تقسيم العمل الذي قدمه" دوركايم"، ولوطرحنا فكرة الزمن مثلا في السياق والزمن لم يكن يعني شيئا كبيرا، بل كان فكرة غامضة خارج قياسه، وحينما قام بقياسه ،أبو حسن المراكشي فقد تركز على الفكرة من خلال المعرفة التجريبية .فالفكرة هذه سوف تنمو في عقل الإنسان كلما نظم نشاطه في نطاق المدة فكان من نتيجة تقسيم العمل في المجال الاجتماعي تقسيم الزمن في المجال النفسي، ومنذ ذلك الحين أصبح الزمن كمية تخضع للقياس . ومن منذ إنتقل تحديد الزمن من المرحلة التجريبية إلى المرحلة العلمية و الإنتاجية".[3]

[1] وجهة العالم الإسلامي عبد الصبور شاهين ، ط5 دار الفكر ن2000 ص 87
[2] وجهة العالم الإسلامي مرجع سابق ص88
[3] عمر كامل مسقاوي ،مقاربات حول فكر مالك بن نبي ،من على منبر الجزائر.ط1،دار الفكر العربي،دمشق،سويا،2008،ص184

- **البعد الأخلاقي**: دقق مالك بن نبي مع الأساس الأخلاقي للمعرفة في جل كتاباته تقريبا، أرجعه إلى التركيبة الثقافية للمجتمع، وذلك حين حديثه عن الثقافة في بعدها الأخلاقي، ذلك في تعريفه للأخلاق بأنها التركيب التربوي لكل العناصر(الأشخاص ،الأفكار، الأشياء)، فقد كانت الأخلاق أحد أبعاد الثقافة، ويقول مالك بن نبي إن العلم يعطي المعرفة، إنه يعطي اللباقة و المهارة وفقا للمستوى الاجتماعي الذي يتم عليه البحث العلمي، والعلم يعطي إمتلاك القيم التقنية التي تولد الأشياء. والثقافة تعطي العلم، إنها تعطي السلوك و الغنى الذاتي الموجود على كل مستويات المجتمع، والثقافة تعطي إمتلاك القيم الإنسانية التي تخلق الحضارة. الثقافة والعلم ليس مترادفين. الثقافة دوما ،ول ايمكن استبدال أحد هذين المفهومين بالأخر .إن هذا التمييز أساسي:

أولا: لذى وضع برنامج يهدف للارتفاع بثقافة بلد ما إلى مستويات الحضارة.

ثانيا: في فهم الظواهر الاجتماعية و السياسية ذات الأهمية الأساسية.[1]

فعلى محور واشنطن، موسكو تهيء القوى الصناعية جميع الظروف المادية لوحدة العالم. ولكنها في الوقت نفسه تخلق عوامل تحليلية تجزيئية تضغط على الضمير الإنساني في كل لحظة بخطر رئيسي يهدد الأشياء و التاريخ بالفناء، ويظل هذا الخطر ماثلا لم تضع حدا أخلاقيا لسياسة الجبروت. لقد جعلت القوى الصناعية العالم صغيرا، فالواجب يفرض الآن أن يصبح قابلا للمساكنة، والفكرة الإفريقية الأسيوية تعطينا هذا الإمكان دفعة واحدة من الوجهة الأخلاقية، وتبقى أن تعطينا إياه من الوهة الاجتماعية، وينحصر الأمر في عملية تجميع الشعوب الأفروسيوية وتوحيدها على الرغم من عمليات التعطيل التي يمارسها على التاريخ تلاميذ الدكتور مالان، ولم يكن ملك بن نبي لتعجبه المرحلة الجاهلية و إن كانت فيها فضائل ومكارم الأخلاق، ألا أن الطابع العام لتلك الفترة تميز الجاهلية، وعبادة الوثن والصنم، لأن عالم الأفكار كان محدود في الإطار الاجتماعي العام ، وانتخبت هذه المرحلة سلوكيات الجهل، كالحروب والغار والسلب والصعلكة." ومن المعروف أن القرآن الكريم قد أطلق اسم الجاهلية

[1] من أجل التغيير. تر : نورالدينيبوكروح و عمر كامل مسقاوي ، - ب ط – دار الفكر ، دمشق ، ص54

على الفترة التي كانت قبل الإسلام، ولم يشفع لهم شعر رائع وأدب فذ من أن القران بهذا الوصف، لأن التراث الثقافي العربي لم يكن يحوى سوى الديباجة المشرقة، الخالية من كل عنصر (خلاق) أو فكر عميق. وإذا كانت الوثنية في نظر الإسلام جاهلية، فإن الجهل في حقيقته وثنية، لأنه لايغرس ظافكارا بل ينصب أصناما، وهذا هو الشأن الجاهلية ،فلم يكن من باب الصدفة المحضة أن تكون الشعوب البيدائية وثنية ساذجة، ولم يكن عجيبا أيضا أن مر الشعب العربي بتلك المرحلة ، حين شيد معبدا للأقطاب(الدراويش) المتصرف ونفي الكون، ومن سنن الله في خلقه أنه: (عندما تغرب الفكرة يبزغ الصنم)، و العكس صحيح أحيانا".[1]

[1] من أجل التغيير. تر : ،مرجع سابق ص54

المبحث الثاني: أبعاد تشكل الإنسان:

وفيما يأتي استعراض لأفكار إبن نبي في الجوانب المختلفة التي تشكل الإنسان: الروحية و الجسمية و العقلية و الوجدانية و السلوكية، حسب نموذج تحليلي إقترحه لهذا العرض .وسنلاحظ أن ابن نبي قد أولى أهمية قصوى للجوانب الروحية والعقلية و السلوكية ضمن إطار تتكامل فيه هذه الجوانب في تناغم بديع دون إهمال للجوانب الجمية والوجدانية التي تتفاعل و تتكامل أيضا مع الجوانب الخرى.

1-البعد الروحي:

قد ربط إبن نبي ظهور الحضارة في أمة من الأمم و اكتشاف الإنسان لأسمى الأشياء، وقال في هذا :"فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء يكون للناس شرعة ومنهاجا، أو هي على الأقل تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام، فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره ‘إلى ما وراء حياته الأرضية أو بعيدا عن حقبته إذ حينما يكشف حقيقته الكاملة يكتشف معها أسمى الأشياء التي تهيمن عليها عبقرته و تتفاعل معها".[1]

وقد أولى مالك بن نبي للجانب الروحي في فلسفة الإنسان في الإسلام عناية كبيرة، حيث قال ":يجب على الإنسان أن يشرب ويأكل وينسل ويملك، ويكافح من اجل إستمرار النوع. ولكنه يجب أن يراقب هذه الأعمال الأولوية جميعها، وأن يواجهها لغايات تتفق وتقدم النوع، وهو بهذه الطريقة يشترك واقعيا في عمل الله عزوجل، ومع ذلك فهو محكوم. إذا ما نظرنا غلى الأمور من الوجهة الدينية .تبعا لهذا الاشتراك المنوط بتكليفه الديني، أعني تبعا لخضوعه لقانون التقدم الأخلاقي، فإذا ما حملته طبيعته على العمل فأن ضميره هو الذي يعطي لعمله معنى تاريخيا و أخلاقيا".[2]

2-البعد المورفولوجي: يرى إبن نبي أنن للفرد بصفته عاملا أوليا للحضارة قيمتان: الأولى منها خام ، و الأخرى صناعية أي أن الأولى طبيعية و الثانية إجتماعية .أما القيمة الأولى فهي موجودة في

[1] مالك بن نبي، ميلاد المجتمع، الترجمة، عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا 2000 ص 58
[2] ميلاد مجتمع، مرجع سابق ص60

التكوين البيولوجي لكل فرد، وتتمثل في إستعداده الفطري لاستعمال عبقريته وترابه ووقته....وأما القيمة الثانية فإنه يكتسبها من وسطه الاجتماعي ،وتتمثل هذه القيمة في الوسائل التي يجدها الفرد في إطاره الاجتماعي لترقية شخصيته و تنمية موهبه وتهذيبها.

ويرى إبن نبي أن للفرد كيانا ماديا ومجالا روحيا، فإذا كان الأول يشكل مجاله الحيوي(البيولوجي) ويمنحه منذ ميلاده العناصر الضرورية لنموه بواسطة عمليات الهضم و التمثيل ودوران الدم و التنفس ،فإن المجال الروحي هو الذي ينميه من الناحية النفسية. وعليه فإذا ما فقد الفرد صلته بالمجال الحيوي فغنه يموت موتا ماديا، وكذلك الأمر إذا فقد صلته بالمجال الثقافي فإنه يموت موتا ثقافيا .وبالإضافة الى دور الإنسان في حفظ حياته ونموه (الفردية) نتيجة قيانه بمختلف الوظائف الحيوية من شرب وأكل، فإنه يعمل "بداع من طبيعته من أجل الحفاظ على النوع، وبوحي من ضميره من أجل تقدمه، فهو إذن مزود بسلطة مزدوجة .ولكن التكيف هو الذي ينظم العلاقة الداخلية لهذه السلطة المزدوجة ،بحيث يكون عمل الغرائز وإندماجها مطابقا لرسالته الاجتماعية ".وإذا كان الإنسان يشرب ويأكل وينسل ويملك ويكافح من أجل إستمرار النوع فإنه يجب عليه أن يراقب هذه النشاطات الأولية، وأن يوجهها لغايات تتفق وتقدم النوع. ويعتبر "الضمير" المحدد الذي يعطي لعمل الإنسان معنى تاريخيا وأخلاقيا وليس هذا الضمير إلا العنصر الديني الذي يغذي الجذور النفسية للفرد، والذي يتدخل مباشرة في العناصر الشخصية التي تكون" الأنا" الواعية في الفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تضعها الغرائز في خدمة هذه "الأنا"[1]

والغريب أن إبن نبي يجاري علماء مدرسة التحليل النفسي، ويقرر أن دور العنصر الديني ليس عامل تنظيم نفسي رئيسي فقط، ولكن دور هذا العنصر يتجلى أيضا "في صورة تحريم مانع في بعض الظروف المرضية، كما في حالة الكبت

[1] ميلاد مجتمع، مرجع سابق ص60

3-البعد الوجداني: لم يهتم إبن نبي بالجانب الوجداني بصفة مباشرة، إلا أنه لم يغفله عند تحليله لمشكلة الثقافة حيث إعتبر عنصر الجمال وما يرتبك به من حسن وقبح عنصرا أساسيا في تشكيل الثقافة و في حل المشكلات التي تواجه مجتمعا ما. ولذا فقد خصص في كتابه "مشكلة الثقافة " محورا تحت عنوان " التوجيه الجمالي" لدراسة تأثير الجمال في الوجدان و الإدراك والسلوك، فقال": لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل أو بالأفكار الكبيرة، فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالا أقبح، و المجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة، لابد أن يظهر أثر هذه الصورة في أفكاره و أعماله ومساعيه". ويرى إبن نبي أن تصور الجمال لا ينفصل عن عمل الخير، وأنه منبع الأفكار ولكونه كذلك ،فإنه ذو أهمية إجتماعية حيث تصدر عنه أعمال الفرد في المجتمع. ويؤكد إبن نبي أن للجمال علاقة واضحة حتى بأزهد الأعمال ،ذلك لأن " الشيء الواحد قد يختلف تأثيره في المجتمع بإختلافه صورته التي تنطبق بالجمال، أو تتضح بالقبح ، ونحن نرى أثر تلك الصورة في تفكير الإنسان ، وفي عمله وفي السياسة التي يرسمها لنفسه ،بل حتى في الحقيبة التي يحمل فيها ملابس سفره." [1]

ونظرا لتأثير الجمال في جميع الجوانب الحياة (الأوان، الروائح، الأصوات، الإدراك والسلوك)، فإن إبن نبي يعتبره الدستور "دستور الجمال في النفس الإنسانية "الذي يطبع صورة" الحسن" أو القبح" في النفس الإنسانية ،والذي يوحي بالحلول الممكنة المشكلات حسب ما تنطبع في الذهن من الناحية الجمالية. والجمال ليس قضية فردية بل هي قضية وطنية أيضا فهو وجه الوطن في العالم، فنحفظ وجهنا لكي نحفظ كرامتنا، ونفرض إحترامنا على جيراننا الذين ندين لهم بالإحترام نفسه.

ومن القضايا المرتبطة بالوجدان التي عالجها إبن نبي قضية المشاعر السلبية كالكراهية و الحقد اللذين ينشئان في النفس (في البلاد المستعمرة مثلا) بفعل عوامل خارجية كالإستعمار .إن نزعة معاداة الإستعمار-بعد الإستقلال و بعد مرور المرحلة الحماسية —لا تصلح أن تكون دافعا ساميا يحرك حضارة ويعطيها مثلها الأعلى ووثبتها الضرورية ،وفضلا عن ذلك فأن هذه النزعة إذا ما صفي من مضمونها من المشاعر الإيجابية عبر الزمن، فقد لاتده هذه التصفية سوى مشاعر سلبية)، تقوم على

[1] ميلاد مجتمع، مرجع سابق ص66

حقد الشعوب التي قاست الظلم طغاتها بينما القضية ليست أن ننتزع العالم من موجة إحتقار الكبار لنسلمه غلى حقد الصغار .

إن التحرر الحقيقي هو التحرر الداخلي من المشاعر السلبية إلى جانب التحرر السياسي و القومي،ذلك لأن التحرر الداخلي هو الذي يمكن الفرد والمجتمع من التخلص من التأثير العميق الذي أحدثه المستعمر في أعماق وضمائر الشعوب المستعمرة في شكل حالات حرمان وحلات ذهان(اضطرابات عقلية)لا وعليه فمشكلة التحرر الشامل ، يجب أن توضع إذن في الإطار النفسي، وسنكون قد صفينا هذه الحالات الذهنية و صفوف الحرمان –بعض التصفية على الأقل–إذ مخلصنا الرجل الأفرسيوي من المشاعر السلبية التي أصابته بها نزعته المعادية للاستعمار ، وأصابه بها حقده عليه. [1]

وهكذا نلاحظ أن تحرير الوجدان عملية ممكنة لتحرير الأرض من المستعمر بل إن عملية تحرير الأرض لا تتم ولا تكتمل إلا بتحرير الوجدان من المشاعر السلبية نحو الذات الفردية و الجماعية ونحو الأخر. ولكن لماذا هذه دعوة لتحرير النفس من المشاعر السلبية نحو المستعمر الذي خرب البلاد ودمر الوجدان في البلدان المستعمرة؟

كان إبن نبي يتمنى أن تتمخض عن مؤتمر باندونغ–الذي عقدته دول عدم الإنحياز سنة1955–إتجاه ثقافي(إفريقي–اسيوي) يجد إلهامه الجوهري في روحها الأخلاقي المتمثل في مجموع القيم الروحية والتاريخية التي تقرها الشعوب الأفروسيوية) بوصفها نوعا من التراث .وهذا التراث يمكن–حسب إبن نبي–أن يجد عناصره أولا في المركبات النفسية التي أدت دورا في الصراع من أجل التحرر، وهي مشتركة بين جميع الشعوب التي خاضت هذا الصراع، ثم أنه سيجدها في الإتجاه الذي يختط للفكرة الأفروسيوية وجهتها الخاصة بها في العالم، وجهة المصير المشترك بين الشعوب السائرة تحت لواء خطر الحر.

[1] ميلاد مجتمع، مرجع سابق ص65

ويرى إبن نبي أن أهم المشكلات التي تواجه الثقافة الأفرسيويةهي: مشكلة البقاء في عالم تحكمه القوة، ومشكلة الإتجاه المستقبلي لهذه الثقافة لإنقاذ البشرية. ونظرا للاهتمام إبن نبي بوضع الإنسانية ككل، فقد رأى أن الثقافة الأفروأسيوية .ملزمة بسبب مأساة هذا القرن العشرين ،بأن تتجه أولا نحو الأخلاق وفلسفتها لتحديد مثلها الأعلى، ثم نحو الصناعة لخلق وسائلها الى هذا المثل الأعلى .فإنقاذ الإنسان من البؤس و الفاقة على محور واشنطن موسكو، هما بالنسبة لنا الضرورتان المحددتان للمشكلة كلها: مشكلة بقائه، ومشكلة إتجاهه، وهذه الضرورة المزدوجة تسيطر بصورة طبيعية على تحديد ثقافته، وبالتالي تسيطر على تحديد منهجه الأخلاق. [1]

4-البعد العقلي:

أولى إبن نبي إهتماما كبيرا للجانب العقلي عند الإنسان كما يتجلى في عالم الأفكار الذي درسه دراسة مستفيضة وخاصة في علاقة بالبناء الحضاري، كما درس الصراع الفكري وأساليبه في البلاد المستعمرة(بفتح الميم)، ودرس أنواع الأفكار: القاتلة و الميتة. وكما إهتم إبن نبي بعالم الأفكار ودوره في البناء الحضاري فقد إهتم بعملية التفكير وبعلاقتها بالجوانب الأخرى في عملية البناء الحضاري: الجوانب الروحية والسلوكية .ويؤكد إبن نبي أن القوة الدافعة و الأساسية في عملية البناء الحضاري و هي الطاقة الروحية ولا تأتي الطاقة العقلية إلا في الدرجة الثانية. [2]

ويقرر إبن نبي من البداية أن "الحضارة لا تصنعها كومة من الأشياء المستوردة، وإنما هي بناء تطبعه فكرة معينةّ. وبدون الجانب الروحي والعقلي فإن عالم الأشياء ليس إلا عبارة عن تراكم أبله جامد لامعنى ولا طعم له مهما كان بريقه وإغراؤه ظاهريا. ولكي يكون الجانب العلي فعالا فعليه أن يرتكز على المنطق العملي وهو كيفية إرتباط العمل بوسائله ومعانيه وذلك حتى لان ستهل أو نستصعب شيئا بغير مقياس يستمد معاييرة من واقع الوسط الاجتماعي وما يشتمل عليه من إمكانيات ،غنه ليس من الصعب على الفرد المسلم أن يصوغ مقياسا نظريا يستنتج به نتائج من مقدمات محددة غير

[1] ميلاد مجتمع، مرجع سابق ص60

[2] ميلاد مجتمع، مرجع سابق ص60

أنه من النادرجدا أن نعرف المنطق العملي أي إستخراج أقصى ماي مكن من الفائدة من وسائل معينة .يلاحظ أن إبن نبي لا يتناول الجانب العقلي تناولا مجردا بل يركز أساسا على الجانب العملي منه (المنطق العملي). ويرى أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة و الانتباه شيء يكاد يكون معدوما في العالم الإسلامي.

خلاصة :

بدا مالك بن نبي في محور عملية الحضارة بالإنسان فكان أول مجهود يقوم به هو تحويل الإنسان من طاقة سالبة إلي أخرى موجبة و يتم دلك من خلال إعادة صياغة الإنسان النفسية و يتجلي دلك في بناء الشخص مقابل الفرد أي إنسان حيوي .

و يري مالك بن نبي إن المجتمع هو تنظيم يتميز بالاستمرارية و الحركية من اجل أن يؤدي مهمته في التاريخ و هو أساس البناء الحضاري من خلال شبكة العلاقات .

الفصل الثالث

فصل الثالث: الانسان و الحضارة

تمهيد

المبحث الاول :الانسان و بعده الحضاري

المبحث الثاني: الانسان و مشكلة الحضارة

خلاصة

تمهيد :

نلمس في هدا الفصل إن مالك بن نبي يري التخلُّف الذي يعيشه المسلمون ينبع في الأساس من داخلهم، ويعود إلى طبيعة تشكيل عقليتهم وشخصيتهم التي ترسبت فيها مفردات الثقافة السلبية، وفرق بين المجتمع الفعّال والمجتمع غير الفعّال، فاعتبر أن فاعلية المجتمع تنطلق من فاعلية الإنسان لهذا كان يقول: "إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن المجتمع والتاريخ". وشرط الفاعلية الأساسي عند مالك أن ينظر الإنسان إلى نفسه على أنه صانع التاريخ ومحرِّكه، فالتاريخ نتائج عملية، وليس مقولاتٍ نظرية، ورأى أن مشكلة المسلم أنه لا يفكر ليعمل بل يفكر ليقول ويتكلَّم، وقد أدَّى ذلك إلى ضياع الاستفادة من المال والوقت والعلم.

المبحث الاول: الإنسان وبعده الحضاري عند مالك بن نبي

1-2الحضارة عند مالك بن نبي:

أخذ مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي عدة أبعاد ومنظورات وزوايا بحثية، الذي يلم بجميع جوانب المشكلة التي هي مشكلة الحضارة في حياة الإنسان، تعني بالدرجة الأولى ناتج إنسجام وتكامل الجهود الإنسانية مع قوانين الأفاق و التطلعات، وجملة الشروط النفسية و الاجتماعية والروحية والدينية، من أجل النمو و الازدهار في الجوانب الفكرية والروحية و السلوكية و الاقتصادية و الاجتماعية و المادية في الواقع المعاش. وكثرت التعريفات المفسرة لمفهوم الحضارة عند مالك بن نبي فهو يعرفها بتعاريف متغايرة في كتبه المختلفة بحسب الموضوع الذي يبحثه وتوقعاته المعرفية و الفكرية، وسياقتها الاجتماعية: [1]

2-2:تعريف الحضارة من الناحية الوظيفية:

هي مجموع الشروط الأخلاقية و المادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده، في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة الى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه، فالمدرسة و المعمل و المستشفى ونظام شبكة المواصلات، والأمن في الجميع صورة عبر سائر تراب القطر، واحترام شخصية الفرد، تمثل جميعها أشكالا مختلفة للمساعدة التي يريد ويقدر المجتمع المتحضر

على تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه.[2]

[1] عمر نقيب ، مقومات بناء الانسان الحضارة في الفكر مالك بن نبي ،نحو نظرية التربوية جديدة للعالم الاسلامي المعاصر ، الشركة الجزائرية اللبنانية ،ط1،الجزائر،2009 ص 120

[2] ا عمر نقيب، مرجع سابق ص121

3-2:**تعريف الحضارة من الناحية البيولوجية:** يعرف مالك بن نبي الحضارة من الناحية البيولوجية: هي مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي "البيولوجي" حيث ينشأ ويقوي هيكلها، وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها ، فعندما نشتري منتجاتها فإنها تمنحنا هيكلها وجسدها لأروحها.[1]

3-**4**:**تعرف الحضارة من الناحية التحليلية:** لمجموع مكوناتها وكأنها معادلة رياضية فيقول": حضارة = إنسان +تراب+ وقت.

وهي نتاج فكرة جوهرية تطبع على المجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي يدخل بها التاريخ.[2] وكل ناتج حضاري تنطبق عليه الصيغة التحليلية التالية:

ناتج حضاري= إنسان +تراب +وقت.

وهذه الصيغة صادقة بالنسبة الى أي ناتج حضاري، وإذا ما درسنا هذه المنتجات حسب طريقة الجمع المستخدمة في الحساب، فسينتهي حتما الى ثلاثة أعمدة ذات علاقة وظيفية:

حضارة=إنسان +تراب +وقت.[3]

وتشير الصيغة الى أن مشكلة الحضارة تتحلل الى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت ،فلكي تقيم بناء حضارة لا يكفي بأن نكرس المنتجات وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاث من أساسها"[4] .فهو هنا مايجعل أي منتج حضاري بتفاعل هذه العناصر الثلاثة فالذي يقصده مالك من :

الإنسان: هو بكونه وحدة اجتماعية وليس انفرادية.

الوقت: فهو مدة زمنية محددة بساعات معينة ينفقها الإنسان كوقتها اجتماعيا مقدرا بساعات عمل.

التراب: فهو مايقدم من غذاء الإنسان في صورة إستهلاكية توفي بحاجات المجتمع تبعا لعملية الإنتاج.[5].

[1]-برغوث عبد العزيز ،حركة تجديد الامة على خط الفعالية الاجتماعية ، دار قرطبة للنشر و التوزيع ، المحمدية ،ط1 ، الجزائر ، 2004 ص96
[2]-جيلالي ، ابو بكر ،استراتيجية البناء الحضاري ، دار قرطبة لنشر و التوزيع ، ط1 المحمدية ، الجزائر ، 2011 ص81
[3]- جيلالي ، ابو بكر ،مرجع سابق ص89
[4] -جيلالي ، ابوبكر، مرجع سابق50
[5] -حركة تجديد الامة على خط الفعالية الاجتماعية ،مرجع سابق ص82

2-4:**الحضارة كتركيب بيولوجي**: لكون الحضارة القرن العشرين لها مشتملاتها المدية والروحية، فلايمكنها أن تبيع شيئا وتترك الأخر، أي أنه يمكن أن تبيعها روحها وأفكارها وثروتها الذاتية و أذواقها، هذا الحشد من الأفكار و المعاني التي لا تلمسها الأنامل، والتي لاتوجد في الكبت أو المؤسسات، لكن بدونها تصبح كل الأشياء التي تبيعينها فارغة بدون هدا روح، وهي بوجه خاض تمنحنا ذلك العديد الهائل من العلائق التي لا توصف والتي تبعثها أي حضارة داخل أشيائها و أفكارها من جانب ، ومن بين هاتين المجموعتين الإنسان من جانب أخر. لذا يعرف الحضارة من هذه الناحية: "هي مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي(البيولوجي) حيث ينشأ ويتقوي هيكلها، وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها، فعندما نشتري منتجاتها فإنها تمنحها هيكلها وجسدها وروحها.[1]

2-5: الحضارة كجوهر: يتلخص جوهر الحضارة في "أن كل تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة".[2]

وذهب مالك بن نبي أبعد من ذلك منّ أجل التوغل في تحليل جوهر الحضارة و إرتباطها مع الثقافة إذ يقول: "إن التفكير في مشكلة الحضارة هو في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة" وبذلك تكون الحضارة في جوهرها عبارة عن مجموعة من القيم الثقافية المحققة، التي تأخذ في النهاية مهمتها التاريخية وتقوم بوظيفة الدم للكائن الحي وتنقل أفكار الجمهور الشعبية ،و الأفكار الفنية وهذان العنصران هما اللذان يغذيان عبقرية الحضارة.[3]

2-6:الحضارة كتركيب رياضي: إن جمع منتجات حضارية هي الحضارة نفسها في صورة غير مركبة. فالحضارة ليست(كومة) من الأشياء و الأفكار، ولكنها بناء يعكس عبقرية البلد وشخصيته.[4]

ويكتب مالك بن نبي الصيغة الرياضية التالية:

[1] العبدة ،محمد ،مالك بن نبي مفكر اجتماعي و رائد اصلاحي ، دار القلم ، ط1 ، دمشق ، سوريا، ص 110
[2] العبدة ،محمد ،مرجع سابق ص100
[3] مرجع سابق ص104
[4] سعيد ،جودة ،حتي يغيروا ما بأنفسهم .تقديم مالك بن نبي ،دار الفكر العربي ،ط3،الدار السعودية للنشر و التوزيع ، ط 1997 ، 1 ، ص69

حضارة=إنسان+تراب+وقت.

2-7:الحضارة كشكل نوعي خاص: الحضارة ليست شكل من أشكال التنظيم للحياة البشرية، في أي مجمع كان ولكنها شكل نوعي خاص بالمجتمعات النامية ، بحيث يجد هذا الشكل نوعيته في إستعداد هذه المجتمعات لأداء وظيفة معينة ليس المجتمع المتخلف في حالة تكيف معها ،لا من حيث رغبته، ولا من حيث قدرته، أو بعبارة أخرى: لا من حيث أفكاره، ولا من حيث وسائله.[1]

2-8الحضارة ككل متكامل: الحضارة بناء على تعريفها البسيط .ليست (كومة) من الأشياء المتخالفة في النوع، بل هي(كل)، أي مجموع منسجم من الأشياء والأفكار ،بصلاتها ومنافعها وألقابها الخاصة وأماكنها المحددة. ومجموع كهذا لا يمكن أن نتصور على أنه مجرد(تكديس) بل (بناء) و(هندسة)أي تحقيق فكرة ومثل أعلى.[2]

2-9:الحضارة كمجموعة من القيم وكوظيفة :قد عرف مالك بن نبي الحضارة كمجموعة من المبادئ المتداخلة التي تساعد الإنسان على التطور والنمو، إذ يقول الحضارة في الواقع هي :"جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره"[3].وهي عنده تشمل "مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده ،في كل طور من أطوار وجوده ،منظر الطفولة الى الشيخوخة المساعدة الضرورية له، في هذا الطور أو ذاك من أطوار النمو".

[1]القضايا الكبرى، ط1،دار الفكر ، دمشق ،1991 ص67
[2]الفكرة الأفرو أسيوية،تر:عبد الصبور شاهين ،دار الفكر ن دمشق،1981. ص79
[3]مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي ، تر: سام بركة و احمد شعبو تقديم كامل ،مسقاوي ، دار الفكر ،2000 ،ص42

المبحث : الانسان و مشكلة الحضارة

المطلب الأول: مشكلة الحضارة عند مالك بن نبي

اتجه مالك بن نبي نحو تحليل الأحداث التي كانت تحيط به وقد أعطته ثقافته المنهجية قدرة على إبراز مشكلة العالم النامي باعتباره قضية حضارة أولاً وقبل كل شيء، يقول (إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم مشكلته ما لم يرتفع بفكره إلى مستوى الأحداث الإنسانية وما لم يتعمّق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها).

لأن بناء الحضارة لا يتم عن طريق الصدفة، بل يتطلّب نظرة منهجية تعتمد على التحليل ومعرفة عوامل البناء. ولم يكن اهتمام ابن نبي بالحضارة من قبيل اهتمام الانثروبولوجي الذي يمثّل لديه كل شكل من التنظيم للحياة البشرية نوعاً معيناً من الحضارة، فالمسألة لا تعني عنده محاولة لاكتشاف حقائق جديدة تتعلّق بعلم الإنسان، ولكنها تعني لديه تحديد الطرق المؤدية إلى الهدف المنشود وهو تحريك العالم الإسلامي المعاصر، حتى يتخلّص من رواسبه ومعوقاته وينطلق بإرادة وفاعلية نحو استعادة مكانته في التاريخ والحياة وفق شروط معيّنة[1] .

فالمشكلات التي تواجه العالم الإسلامي متعدّدة، وذلك يتطلّب أن نقوم بترتيبها منطقياً، حتى نعطي لكل نوع قيمته الحقيقية، دون أن نقع في شراك الشيء السهل أو شراك الشيء المستحيل مدركين بأن للحضارة قانونها الذي لا يجامل أحداً، وبذلك يستطيع العالم الإسلامي أن يشقّ طريقه نحو دورة حضارية جديدة[2].

[1] موسى الأحرش ، استراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الاسلامي في فكر مالك بن نبي ، مخبر التربية والانحراف والجريمة في المجتمع ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1- الجزائر 2006، ص 145

[2] عبادة عبد اللطيف ، صفحات مشرقة في فكر مالك بن نبي ، ط1 ، (باتنة ، الجزائر ، دار الشهاب للطباعة والنشر ، 1984، ص120

و لقد استطاع مالك بن نبي أن يحدّد المشكلات الأساسية التي تواجه العالم الإسلامي في الآتي:

– مشكلة الإنسان.

– مشكلة التراب.

– مشكلة الوقت.

ولا ريب أن مشكلة الإنسان تأتي في المقام الأول، إذ أنه هو الذي يوجّه الأشياء ويبني الحضارة، ولكن الإنسان الذي يستطيع أن يصنع الحضارة هو الكائن الاجتماعي الفعّال الذي يتحرك ويسعى، والمقصود بالتراب هو المعطيات المادية التي يجب أن تستغل جيداً لصالح المجتمع، أما الوقت فهو الزمن الذي يتم تكييفه بحيث يصبح زمناً اجتماعياً .

إن مشكلات الإنسان والتراب والوقت هي المشكلات الأساسية التي تواجه كل مجتمع متخلّف، فإذا أراد أن يبني نفسه ويخرج من دائرة التخلّف فعليه أن يُولي اهتمامه لهذه المشكلات وأن لا يضيع جهوده بالاهتمام بالمشكلات الجزئية.[1]

يقول مالك بن نبي ما نصّه: إن أول ما يجب علينا أن نفكّر فيه حينما نريد أن نبني حضارة أن نفكّر في عناصرها تفكير الكيماوي في عناصر الماء إذا ما أراد تكوينه، فهو يحلّل الماء تحليلاً علمياً ويجد أنه يتكوّن من عنصرين عنصر الهيدروجين وعنصر الأكسجين ثم إنه بعد ذلك يدرس القانون الذي يتركّب منه هذان العنصران ليعطيانا الماء، وهذا بناء وليس تكديساً، ذلك لأنه لو كدّس ملايين من الأطنان من الهيدروجين والأوكسجين ثم بقي ينتظر أن يتكوّن الماء فإنه لا يتكوّن وحده إلاّ بأن يبعث الله إليه شرارة من عنده. فحينما نحلّل منتجات الحضارة ولنأخذ أياً منها ولتكن هذه الورقة فإننا نجدها تتكوّن من عناصر ثلاثة: الإنسان: لأنه هو الذي ولدها بفكره وصنعها بيده من بغداد في العصر العباسي حيث اخترع الفكر الإنساني الورق. فالعنصر الأول إذن الإنسان. 2

[1] عبادة عبد اللطيف ، المرجع السابق ، ص121

أما العنصر الثاني: فهو التراب إذ من التراب كل شيء على الأرض وفي باطنها، ومعنى التراب هنا ليس المتبادر إلى الذهن فقد تعمّدت ألاَّ استخدم كلمة مادة. لأن التراب يتّصل به الإنسان بصورتين: صورة الملكية أي من حيث تشريع الملكية في المجتمع الذي يحقق للفرد الضمانات الاجتماعية، فالتراب هنا شيء حيوي في المجتمع من حيث التشريع. وهو يتّصل به بصورة أخرى من ناحية علم التراب والمعلومات التي تتصل به كالكيمياء وغيرها فالتراب نعني به هذين الجانبين: جانب التشريع وجانب السيطرة الفنية والاستخدام الفني. فالتراب بهذا المعنى يدخل في عناصر هذه الورقة. و أما العنصر الثالث، فهو الزمن لأنه إذا صحّ ما أقول فلماذا لم يخترع الفكر الإنساني الورق قبل هذا التاريخ؟ إن الجواب على ذلك هو نقص تجاربه في هذا المضمار، في مضمار علم التراب والنباتات فالزمن قبل ذلك التاريخ لم يكف لتخمّر فكرة ابتكار الورق، إذن يجب أن نجهز عناصر ثلاثة حتى يتكوّن منها الورق. الإنسان – التراب – الوقت، وهذا التحليل يوجب عليّ أن أقول منتج حضارة (وهنا ورقة) = إنسان+تراب+وقت).[1]

لقد اهتم مالك بن نبي بالحضارة من زاوية التحليل والتركيب، كما اهتم بها من الناحية الوظيفية، إذ عرّفها بأنها القدرة على القيام بوظيفة أو مهمة معينة، وأنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفّر لكل أعضائه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدّمه.

[1] عبادة عبد اللطيف ، نفس المرجع ، ص122

المطلب الثاني: الانسان و المجتمع و جدلية الحضارة :

يتساءل مالك بن نبي ما الحضارة ؟ ويجيب على هذا السؤال بقوله (أهي من نور الكهرباء وصوت المذياع وما إلى هنالك من المنتجات الحضارية ؟ إنها ليست في شيء من ذلك وحده. ليست في أن أحل مشكلة هنا ببناء مدرسة ومشكلة أخرى ببناء مستشفى من غير أن يكون ذلك كله متوائماً مع توجيه لإمكاناتنا نحو البناء في كل مكان وفي أهم مكان، أعني نحو البناء من داخل النفس بأن تغير تلك النفس الساكنة المستكينة التي انفصلت عن المجتمع وأسلمته وأسلمت نفسها إلى الجهل الذي نراه اليوم بيننا متفشياً ونرى أنه ينفع في علاجه بناء مدرسة. والمرض الذي يتراءى لنا علاجه في بناء مستشفى الخ. فإن هذه المشاكل الأخيرة والملحّة كلها سوف لا تجد حلها ببناء مدرسة للأولى ومستشفى للثانية. إن حلّها بإصلاح الفساد في الرأس، ذلك المنبع الذي ما زال يشيع الجهل والمرض وهي النفس الإنسانية. وحينئذ سوف يؤدي المستشفى عمله على أتمه والمدرسة أيضاً) . اهتم ابن نبي بعالم الأفكار بدلاً من عالم الأشياء وتساءل ما هي المشكلات ؟ إنها تبدو هنا الجهل وهناك الفقر – أو إطار سياسي – الاستعمار والاحتلال الأجنبي وفي مجال آخر النقص في الامكانات و الثروات الطبيعية[1].

لقد طرح مالك بن نبي كل هذه الأعراض في مختلف كتبه وعالجها معالجات متعددة لكنها كما رأى تصبّ في إطار واحد: إنها مشكلة حضارة نحن خارجها ومشكلة ثقافة لم يتكامل إطارها في مختلف حياتنا اليومية ونحن لذلك نضيع في شتّى النوازع والقلوب والوسائل، تتعارض الإمكانات في مختلف الأصعدة ثم تسقط هذه في هوّة الفراغ والضياع وعدم الفعالية؛ (فالقضية إذن ليست قضية أدوات ولا امكانات (...) إن القضية كامنة في أنفسنا، إن علينا أن ندرس أولاً الجهاز الاجتماعي الأول وهو الإنسان فإذا تحرّك الإنسان تحرّك المجتمع والتاريخ وإذا سكن، سكن المجتمع والتاريخ).

[1] موسى الاحراش ، استراتيجية استئناف البناء الحضارة للعالم الاسلامي في فكر مالك بن نبي ، مخبر التربية و الانحراف في المجتمع ، ديوان المطبوعات الجامعية ،ط1، الجزائر ،2006 ص142.

المطلب الثالث: السبيل الي الحضارة عند مالك بن نبي :

السبيل إلى الحضارة هو قبل كل شيء طريق الفكر الذي يحدّد الوسائل ونتائجها في مدة معلومة بحيث يرى السائر ما سوف تنتهي إليه الطريق قبل أن يخطو فيها خطوة واحدة. وعن أهمية الأفكار عنده يقول ابن نبي (لا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من أشياء بل بمقدار ما فيه من أفكار، ولقد يحدث أن تلم بالمجتمع ظروف أليمة كأن يحدث فيضان أو تقع حرب فتمحو منه عالم الأشياء محواً كاملاً أو تفقده إلى حين ميزة السيطرة على عالم الأفكار وهنا يكون الخراب ماحقاً. أما إذا استطاع أن ينقذ أفكاره فإنه يكون قد أنقذ كل شيء، إذ أنه يستطيع أن يُعيد بناء عالم الأشياء) ومقياس الحضارة عند ابن نبي أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها وليس العكس. إذن ماذا نأخذ من الحضارة الغربية وماذا نترك ؟[1]

يجيب مالك بن نبي فيقول: (إننا لا نستطيع أن نعيش منعزلين عن العالم، فحينما نقول إنه ينبغي أن نوجّه بحوثنا إلى هذه العناصر الثلاثة (إنسان وتراب ووقت) التي بها تبنى الحضارة فإن هذا لا يعني أن نترك ما انتهى إليه الآخرون لنبدأ الطريق من أوله، إن علينا أن نأخذ من الحضارة الغربية الأدوات التي تلزم في بناء حضارتنا، فإذا لم نكن نستطيع صنع الآلات مثلاً فعلينا أن نستورد هذه الآلات من الخارج حتى يأتي يوم نستطيع فيه الاستغناء عنها بمنتجاتنا. على أنه إذا كان من العبث أن أركب الجمل في العصر الذي انتشرت فيه السيارات، فإنه من العبث الأكبر والتبذير للأموال أن أقتني أفخر السيارات وأعظمها لأنه لا حاجة بي إلى هذا النوع من السيارات طالما استطيع الاكتفاء بأقل منها درجة، فنحن في مرحلة البناء ينبغي لنا أن نقتصد في إمكاناتنا حتى نستخلص منها أقصى ما نستطيع من فائدة)

[1] موسى الاحراش ، مرجع سابق ، ص143.

وعن الثقافة يرى مالك بن نبي أن الأفكار الغربية الليبرالية أو الماركسية هي انعكاس لواقع معين سواء أكان هذا الواقع حضارياً أو أيديولوجياً، وهذه الأفكار غير مجدية لواقعنا العربي الإسلامي، وليس ذلك لخطأ هذه الأفكار بالنسبة لمجتمعاتها، ولكن ذلك لعدم اتّساقها مع أبعاد هذا الواقع العربي الإسلامي، ويحاول أن يضع تعريفاً شاملاً للثقافة يتّسق مع واقعنا العربي الإسلامي فيقول عن الثقافة: (مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه فهي المحيط الذي يشكّل فيه الفرد طباعه وشخصيته)[1]

والثقافة عنده ليست مجرّد علم يتعلّمه الإنسان في المدارس أو من الكتب بل هي جوّ من العادات والأذواق والقيم التي تؤثر في تكوين الشخصية وتحدّد دوافع الفرد وانفعالاته وصلاته بالناس والأشياء، ويرى أن الثقافة كنظرية للتغيير وإعادة البناء لابدّ وأن تُصاغ صياغة تربوية تعتمد على العناصر الآتية:

أولاً: التوجيه الأخلاقي: فهو يرى أن فعالية المجتمعات تزيد أو تنقص بمقدار ما يزيد فيها من تأثير الأخلاق أو نقصانها وما يعنيه هذا من التأكيد على مفاهيم الإخاء والتعاون ومبدأ الجميع للفرد والفرد للجميع وربط العلم بالأخلاق حيث يهتم بالأخلاق من الناحية الاجتماعية.2

ثانياً: التوجيه الجمالي: فالقبح يعبر أساساً عن تخلّف الثقافة، وعندما نشاهد خرقاً في كساء أحد المتسوّلين يجب أن نشعر بوجود خرق في ثقافتنا، والإحساس صورة نفسية للجمال والمضمون الجمالي في كرامة الفرد يؤثر على فعالية المجتمع والجمال هو الإطار الذي تتكوّن فيه أية حضارة. وإن كان لم يتطرّق لمعنى الجمال من الناحية التطبيقية.

ثالثاً: المنطق العلمي: ويقصد به العقل التطبيقي الذي يجسّد الفعالية في النشاط سواء على صعيد الفكر أو العمل، ويرى أن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة بل منطق العمل والحركة فهو لا يفكّر ليعمل بل ليقول كلاماً مجرداً[2].

[1]- موسى الاحراش ، مرجع سابق ، ص144.
[2]- موسى الاحراش ، مرجع سابق ، ص145.

رابعاً: التوجيه الفني أو الصناعة: وهو يقصد بالصناعة كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم، أو أن التغيير والبناء الاجتماعي في جوانبه العلمية والصناعية متوقّف على المناخات والأسس الثقافية التي تفرز الروح العلمية المنشودة .

بهذه العناصر الأربعة تستكمل الثقافة بناءها في المجتمع وترتقي حينئذ إلى مستوى الحضارة. ويرى مالك بن نبي أنه (ليس بنافع لنا أن نفكّر في الأسباب التي تدخلنا إلى باب الحضارة من غير أن نواجه أولاً وقبل كل شيء الوسائل التي تجعلنا نخرج من باب التخلّف.[1]

[1]- موسى الاحراش ، مرجع سابق ، ص147.

الخلاصة :

نستخلص مما سبق أن التجديد الحضاري له عوامل وشروط تحدثه كما له موانع تقف في وجهه، هذه الموانع ترتبط بالفرد وبمحيطه، وترتبط بالفرد ككائن طبيعي ونفساني وعاقل واجتماعي فهي موانع ذات طابع حيوي ونفساني واجتماعي وهي كذلك ذات طابع فكري ومنهجي، بعضها ذاتي في الفرد وبعضها موضوعي، بعضها داخلي في المجتمع وبعضها خارجي، وسبيل الفرد والمجتمع إلى الحضارة هو القفز فوق موانع النهضة والتجديد للوصول إلى نقطة منها تنطلق وتقلع عملية البناء التاريخي بعدما تتوافر كافة شروط هذا الإقلاع.

خاتمة

خاتمة :

واجب الإنسان أن ينطلق من مسلمة مفادها أنه حامل رسالة لإنقاذ نفسه وأمته والإنسان أينما كان، وهذا أمر يعطي الصدارة للمبادئ والالتزام بها والثبات عليها والاستعداد للتضحية والفداء لأن الأمم لا تنتصر بغير هذا النوع من الناس و قد أراد مالك بن نبي إعداد مشروع النهضوي يحتاج لإنسان يؤدي واجباته في شتى الميادين قبل أن يطالب بأي حق من حقوقه. لأن التوازن في هذه المعادلة يساعد على تحقيق الاتزان في الشخصية والسلوك وكل خلل ينعكس عليهما معاً.

إن نجاح اي مشروع إصلاحي ونهضوي يحتاج لنجاحه أن يبدأ من الإنسان المخلوق المستخلف في الأرض والذي كتب الله تعالى له التكريم والإنسان أو الرأسمال الاجتماعي هو الرأسمال الأكثر أهمية في صناعة التقدم وإليه يجب أن يتوجه الاهتمام. وإذا كان مالك بن نبي قد حدد الحضارة على الشكل التالي : حضارة = إنسان + تراب + وقت، فإنه علينا أن ندرك بأن الإنسان هو الذي يستخدم التراب ويدير حركته وأنه هو كذلك الذي يستثمر الوقت بحسن إدارته وبذلك يكون الإنسان مدار الحضارة. وإن بناء الإنسان يحتاج إلى تخليصه من كل الرواسب، وتنقية شخصيته مما علق بها لأنه لا يمكن لفرد أن يقود حركة إصلاح في "أناه" وكذلك حال المجتمع، والقاعدة هي قول الله تعالى) :**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**[1] وأي حركة ثورية أو إصلاحية كي تنجح عليها الانطلاق من واقع أمتها ومن رحم هويتها الثقافية لأن ما يفيد في دورة ثقافية لا يكون مناسباً لدورة ثقافية أخرى، ولذلك لا يجوز الاستيراد في الفكر السياسي والتربوي والاجتماعي كما الحال في العلوم التطبيقية، وفي التقنيات والمصنوعات.و يجب علينا تحصين الإنسان من القابلية للاستعمار هذه الأيام مهم. والمتأمل لواقعنا اليوم يجد أن قبيلاً من المتخاذلين يضخم الدور الأمريكي والأجنبي كي يبرر تخاذله، وقبيل آخر يستسلم للأمر الواقع ليجد ما يستر به تقصيره وهكذا الأمر، ولا بد حيال ذلك من ثقة عالية بالنفس وبالأمة وبخيريتها لقوله تعالى) :**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.**[2]

---

[1] –سورة الرعد، الآية 11.

[2]–سورة آل عمران ، الآية 110

فهرس الرموز

قائمة الرموز:

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ط	طبعة
دط	دون طبعة
تر	ترجمة
تح	تحقيق

فهرس الأعلام

اسم العلم	الصفحة
عبد الحميد بن باديس	
البشير الابراهيمي	
الامين عمودي	
الطيب العقبي	
بن كحول	
بن بلة	
هواري بومدين	
مولود بن ميهوب	
بن عابد	
احمد رضا	
محمد عبده	
كواكبي	
زليخة زوجة مالك بن نبي	
فيكتور هيغو	

فهرس الآيات

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
(62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63) "	سورة التوبة	الآية 62	
"إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ"	سورة الرعد	الآية 11	
م خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ ِ."	سورة آل عمران	الآية 110	

المصادر والمراجع

المصادر:

1. موسى الاحراش ، استراتيجية استئناف البناء الحضارة للعالم الاسلامي في فكر مالك بن نبي ، مخبر التربية و الانحراف في المجتمع ، ديوان المطبوعات الجامعية ،ط1، الجزائر ،2006 .
2. مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي ، تر: سام بركة و احمد شعبو تقديم كامل ،مسقاوي ، دار الفكر ،2000 .
3. مشكلة الثقافة ،تر :عبد الصبور شاهين ،دار الفكر ،دمشق ، 2000 .
4. مشكلة الثقافة تر، عبد الصبور شاهين، دار الفكر ، دمشق ن 1981.
5. من أجل التغيير. تر : نورالدين يبوكروح و عمر كامل مسقاوي ، – ب ط – دار الفكر ، دمشق ،
6. القضايا الكبرى، ط1،دار الفكر ، دمشق ،1991 .
7. مالك بن نبي. مذكرات شاهد القرن، بإشراف ندوة مالك بن نبي ،دار الفكر ، دمشق ،ط2 ، 1984 .
8. مالك بن نبي، ميلاد المجتمع، الترجمة، عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا 2000
9. الفكرة الأفرو أسيوية ،تر: عبد الصبور شاهين ،دار الفكر ن دمشق،1981.
10. الطيب برغوث، موقع المسألة الثقافية في استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي،ط1،دار اليانبيع،1993،الجزائر.
11. شروط النهضة ،ترجمة كاملة مسقاوي و عبد الصبور شاهين ،ط4 ،دار الفكر ، دمشق ، سوريا 1984 .
12. برغوث، الطيب موقع المسالة الثقافية في استراتيجية التجديد الحضاري ؛ انودج مالك بن نبي ؛ ط1 وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية ، الدوحة ، قطر ،1991 .

المراجع :

13. إبراهيم العاصي، الحقيقة و المال. أخر حوار لمالك بن نبي ط1،دار عالم. دار بيروت لبنان 2003'

14. باي ، محمد بغداد ، التربية والحضارة . البحث في مفهوم التربية وطبيعة علاقتها . عالم الافكار ، ط1 الجزائر 2006.

15. برغوث عبد العزيز ،حركة تجديد الامة على خط الفعالية الاجتماعية ، دار قرطبة للنشر و التوزيع ، المحمدية ،ط1 ، الجزائر ، 2004 .

16. بريون ، فوزية ، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة ، دار الفكر ، ط1، دمشق ، سوريا ، 2010، .

17. جمال حمدان ،استراتيجية الاستعمار و التحرير،ط1 ،بيروت، دار الشروق ،1983ص 241

18. جيلالي ، ابو بكر ،استراتيجية البناء الحضاري ، دار قرطبة لنشر و التوزيع ، ط1 المحمدية ، الجزائر ، 2011 .

19. سعيد ،جودة ،حتي يغيروا ما بأنفسهم .تقديم مالك بن نبي ،دار الفكر العربي ،ط3،الدار السعودية للنشر و التوزيع ، ط.1 .1997.

20. الصراع الفكري في البلاد المستعمرة (ب.ط)دار الفكر ، 2000 ص 64.

21. عبادة عبد اللطيف ، صفحات مشرقة في فكر مالك بن نبي ، ط1 ، (باتنة ، الجزائر ، دار الشهاب للطباعة والنشر ، 1984.

22. عبد اللطيف عبادة ،صفحات مشرقة من الفكر مالك بن نبي ، ط1 ،-باتنة، الجزائر دار الشهاب للطباعة و النشر ، 1984.

23. عبد الله عبد الجبار ،الغزو الثقافي في العالم العربي،ط3،جدة ، مطابع الروضة ،1980.

24. العبدة ،محمد ،مالك بن نبي مفكر اجتماعي و رائد اصلاحي ، دار القلم ، ط1 ، دمشق ، سوريا

25. عمر كامل مسقاوي ،مقاربات حول فكر مالك بن نبي ،من على منبر الجزائر.ط1،دار الفكر العربي،دمشق،سويا،2008.

26. عمر نقيب ، مقومات بناء الانسان الحضارة في الفكر مالك بن نبي ،نحو نظرية التربوية جديدة للعالم الاسلامي المعاصر ، الشركة الجزائرية اللبنانية ،ط1،الجزائر،2009.

27. عويمر ،مولود ،مالك بن نبي رجل الحضارة ،الطبعة الاولى ،(تيزي وزو ،الجزائر دار الامل للطباعه والنشر والتوزيع 2007 .

28. في مهب المعركة، ارهاصات الثورة ، الطبعة ،3 دار الفكر ، 1981 .

29. محمد قطب، واقعنا المعاصر ،ط2، الجزائر، مكتبة رحاب، 1989

30. موسى الأحرش ، استراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الاسلامي في فكر مالك بن نبي ، مخبر التربية والانحراف والجريمة في المجتمع ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1. الجزائر 2006.

31. وجهة العالم الإسلامي عبد الصبور شاهين، ط5 دار الفكر ن2000.

32. وجهت العالم الاسلامي،عبد الصبور شاهين، ط5،دار الفكر 1986.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر و عرفان	
الاهداءات	
ملخص الدراسة	
المقدمة.....	ا.ك
الفصل الاول : مالك بن نبي و تكوينه الفكري	
تمهيد :	13
المبحث الاول : مالك بن نبي (1905-1930).	14
1. نشأة مالك بن نبي.	15-14
2. شخصيته.	17-15
3. مؤلفاته.	22-17
المبحث الثاني: العوامل الثقافية و الفكرية في تكوين مالك بن نبي	23
1 : الظروف المحيطة في تكوين مالك بن نبي	24-23
2 : مالك بن نبي و ماسونية	27-24
3 : مالك بن نبي و تجربته مع الاستعمار	32-27
خلاصة :	33
الفصل الثاني: الإنسان في فلسفة مالك بن نبي.	35
تمهيد :	36
المبحث الأولى: مفهوم الإنسان	36
1.بناء الفرد مقابل الشخص و الفرد الخام:	37-36
2- ثلاثية الانسان الطبيعي والفطري والمكيف	38
3- إنسان ما قبل الموحدين	39
4 – إنسان ما بعد الحضارة وإنسان الحضارة	41-40

المبحث الثاني: مراحل و إبعاد المعرفة العلمية لدي الإنسان	
1-مراحل المعرفة العلمية عند مالك بن نبي	43-42
2- أبعاد المعرفة عند مالك بن نبي	49-44
المبحث الثاني: أبعاد تشكل الإنسان:	
1-البعد الروحي	50
2-البعد المورفولوجيي	51-50
3-البعد الوجداني	54-52
4-البعد العقلي	56-54
خلاصة :	56
الفصل الثالث: الانسان و الحضارة	
تمهيد :	59
المبحث الاول :الانسان و بعده الحضاري	60
1 : الحضارة عند مالك بن نبي	61-60
2 : الحضارة من الناحية الوظيفية و البيولوجية .	61
3: الحضارة من الناحية التحليلية و كتركيب بيولوجي	63-62
المبحث الثاني: الانسان و مشكلة الحضارة	64
1 : مشكلة الحضارة عند مالك بن نبي	66-65
2 : الانسان و المجتمع و جدلية الحضارة	68-67
3 : السبيل الي الحضارة عند مالك بن نبي	70-69
خلاصة :	71
الخاتمة :	
قائمة المصادر و المراجع:	

فهرس المحتويات